المغني في التَّفْسِير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورَةُ المائِدَةِ

(المجلدُ الرَّابعُ)

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة
إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ المائِدَةِ

سُورةُ المائِدَةِ

سُمِّيتْ هذه السُّورةُ الكريمةُ،

سُورةَ المَائدة.

فعَن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ، قال:

(حَجَجتُ فدخلتُ على عائشةَ رضِي اللهُ عنها، فقالَت لي: يا جُبَيرُ، تقرأُ المائدةَ؟ فقُلتُ: نَعم، فقالَت: أمَا إنَّها آخِرُ سُورةٍ نزَلَتْ...).(1)

- سُورةُ المَائدةِ مِن السَّبعِ الطِّوالِ التي أُوتِيَها النبيُّ - ﷺ - مكانَ التَّوراةِ:

فعَن واثلةَ بنِ الأَسقَعِ رضِي اللهُ عنه، قال:

قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: ((أُعطِيتُ مَكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطيتُ مَكانَ الزَّبورِ المِئِينَ، وأُعطيتُ مَكانَ الإنجيلِ المثانِيَ، وفضِّلتُ بالمفَصَّلِ)).(2)

---

(1) أخرجَه أحمدُ (25547)، والنَّسائي في ((السنن الكبرى)) (11073)، والحاكم في ((المستدرك)) (3210).
قال الحاكم (3210): صحيحٌ على شرْطِ الشَّيخين.
وقال الشوكانيُّ في ((نيل الأوطار)) (204/9): رجاله رجالُ الصَّحيح.

(2) أخرجه أحمدُ (16982)، والطَّيالسيُّ في ((المسند)) (1105)، والطبرانيُّ في ((المعجم الكبير)) (76/22) (187)، والبيهقيُّ في ((شعب الإيمان)) (2255)، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (6485).

- مِن خَصائصِ هذِه السُّورةِ:

أنَّها مِن آخِرِ ما نزَلَ مِنَ القُرآنِ:

فعَن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو رضِي اللهُ عنهما،

قالَ: (آخِرُ سُورةٍ أُنزِلَت سورَةُ المائدةِ).[3]

وعن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ، أن عائشةَ رضِي اللهُ عنها، قالت له: (يا جُبَيرُ، تَقرَأُ المائدةَ؟ فقال: نَعَم، قالتْ: أمَا إنَّها آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَت).[4]

- مِن خَصائِصِها: أنَّها أجمَعُ سُورةٍ في القُرآنِ لفُروعِ الشَّرائعِ،

وذُكِر فيها مِن التَّحليلِ والتحريمِ والإيجابِ ما لم يُذكَرْ في غيرِها.

سُورةُ المَائدةِ سُورةٌ مدَنيَّة، نزلَتْ بعدَ الهِجرةِ،

ونقَل الإجماعَ على ذلِك عددٌ من المفسِّرينَ.[5]

قال الهيثميُّ في ((مجمع الزوائد)) (49/7): فيه عِمران القطَّان، وبقيَّةُ رِجاله ثقاتٌ.

وحسَّنه السيوطيُّ في ((الجامع الصغير)) (1171)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (1059).

(3) رواه الترمذيُّ (3063)، والحاكم في ((المستدرك)) (3211)، والبيهقيُّ في ((السنن الكبرى)) (13979).

قال الترمذيُّ: حسنٌ غريبٌ.

وحسَّن إسنادَه الألباني في ((صحيح الترمذي)) (3063).

(4) أخرجه أحمد (7932)، وابن حبان (2559)، والحاكم (7278) صححه ابن حبان، وصحح إسناده الحاكم، وابن كثير في ((التفسير)) (340/5)، وابن حجر في ((فتح الباري)) (36/5)

(5) وممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية في ((تفسيره)) (143/2)، والقرطبيُّ في ((تفسيره)) (30/6)، وابنُ عاشور في ((تفسيره)) (69/6).

مِن أَهمِّ المقاصدِ التي تَضمَّنَتْها سورةُ المائدةِ:

1- التَّأكيدُ على حِفظِ العُهودِ والمواثيقِ والوفاءِ بها

2- بيانُ الكَثيرِ من الأحكامِ الشَّرعيَّةِ.

3- تَنظيمُ العَلاقاتِ بينَ المسلمينَ وغَيرِهم.

مِن أَبرزِ الموضوعاتِ التي تناولَتْها سورةُ المائدةِ:

1- تقريرُ العَقيدةِ الصَّحيحةِ، والاهتمامُ بأمورِ التَّوحيدِ، وتَصحيحُ الكثيرِ مِن المعتقَداتِ الباطلةِ، والتذكيرُ بيومِ القيامةِ.

2- تقريرُ أنَّ الحُكمَ للهِ تعالى وحدَه، وأنَّه لا حُكمَ أحسنُ مِن حُكمِ الله تعالى، مع بيانِ وجوبِ الحُكمِ بما أَنزلَ اللهُ تعالى، وإلغاءِ حُكْم الجاهليَّة وتقبيحِه.

3- التأكيدُ على عقيدةِ الولاءِ والبراء، والتشديدُ على تولِّي المؤمنين، مع التحذيرِ غايةَ التحذيرِ من تولِّي أهلِ الكُفر، وبيانِ أنَّ الذين في قلوبِهم مرضٌ هم المسارِعونَ في تَوَلِّيهم.

4- تنظيمُ علاقاتِ المُسلمينَ مع غيرِهم، خاصَّةً اليهودَ والنَّصارى.

قال ابنُ عطية: «هذه السورة مدنية بإجماع.

ومن هذه السورة ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح».

5- بيانُ كثيرٍ من الأحكامِ الشَّرعيَّة وتوضيحُها؛ فمِن ذلك: الأحكامُ الشَّرعيَّة المتعلِّقة بالعباداتِ والمعاملاتِ؛ كأحكامِ العُقود، والذَّبائح، والصَّيد، والإِحرام، ونِكاح الكتابيَّات، والرِّدَّة، وأحكامِ الطَّهارة، وحَدِّ السَّرِقة، وحدِّ البَغي والإفسادِ في الأرضِ (الحِرابة)، وتحريمِ الخَمْر والميسرِ، وكَفَّارة اليَمين، والنَّهي عن قَتْلِ الصَّيدِ في الإِحرام، والوَصيَّةِ عندَ الموتِ؛ إلى غيرِ ذلك.

6- اشتملتْ سورةُ المائدةِ على بعضِ القِصصِ، ومِن ذلك قِصَّةُ بني إِسرائيلَ مع موسى عليه السلامُ، وقِصَّة ابنَيْ آدَم، وقِصة المائدة.

7- بيانُ أحوالِ أهلِ الكتابِ، ونقضِهم للعهودِ وتحريفِهم للكتبِ المنزَّلةِ، ومناقشةُ بعض عقائدِهم الزَّائفةِ؛ من نسبةِ الولدِ إلى الله، وإنكار رِسالةَ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إلى غير ذلِك من عقائدِهم الباطِلة.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيتين (1–2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

غريب الكلمات:

أَوْفُوا: أدُّوا مع التَّمامِ، وأصلُ الوفاء: تمامُ الشَّيءِ، وإتمامُ العَهدِ، والقيامُ بمقتضاه، وإكمالُ الشَّرط.

بِالْعُقُودِ: بالعُهودِ الموثَّقةِ، وأصل (عقد) يدلُّ على: شَدٍّ، وشِدَّةِ وُثوقٍ.

بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ: الإبلُ والبَقَر والغنَم، والبَهِيمَةُ: كلُّ ما استَبْهَم عن الجوابِ، أي: استَغلَق، وما لا نُطْقَ له؛ وإنما قيل للأنعامِ: بَهيمة؛ لأنَّها أبهمتْ عن أن تُميِّزَ، والأنعامُ: أصلُها الإبل، ثم استُعمِلَتْ للبقرِ والغَنَم، وأصل كلمة (نعم): يدلُّ على تَرفُّهٍ، وطِيبِ عَيشٍ، وصلاحٍ.

الصَّيْدِ: أي: الاصطياد، والصَّيد: هو تناولُ ما يُظفَر به، أو ما كان مُمتنِعًا ولم يكُن له مالكٌ، وكان حلالًا أكْلُه، وأصلُه: ركوبُ الشَّيءِ رأسَه، ومُضيُّه غيرَ ملتفِتٍ ولا مائلٍ.

حُرُمٌ: مُحرِمونَ، جمْع حَرامٍ، وهو بمَعْنَى مُحرِم، مِن: أَحْرم الرَّجلُ بالحجِّ؛ لأنَّه يَحرُم عليه ما كان حلالًا له من الصَّيدِ والنِّساءِ، وغير ذلك، وأصل (حرم): المنْع والتَّشديد.

شَعَائِرَ: وَاحِدُها شَعيرَة، وهي مَا جعَله الله تعالى عَلَمًا لطاعَتِه، والشَّعائِر: أعلامُ الحجِّ وأَعمالُه، ومشاعِرُ الحجِّ: مواضِعُ المناسِك.

الْهَدْيَ: مُختصٌّ- في هذا الموضِع- بما يُهْدَى إلى البَيتِ من الأنعامِ؛ قربةً إلى الله، والهَدِيَّة: كلُّ ما يُهدَى إلى ذِي مَوَدَّةٍ.

الْقَلَائِدَ: ما قُلِّد من الهَدْي، وكانوا يقلِّدونَ البعيرَ من لِحاءِ شَجرِ الحرمِ، فيأمنُ بذلك حيث سلَك، وأصل (قلد): الفَتْل، ويدلُّ على تعليقِ شيءٍ على شيءٍ، وَلَيِّه به.

آمِّينَ: قَاصِدينَ وعامِدِين إليه، جمْع آمٍّ، وأصل الأَمّ: القصدُ المستقيم، أو التوجُّه نحو مقصودٍ.

فَضْلًا: عطاءً زائدًا؛ فأصلُ الفَضلِ الزِّيادةُ؛ وكلُّ عطيَّةٍ لا تلزَمُ مَن يُعطي يُقال لها: فضلٌ، والإفضال: الإحسان.

حَلَلْتُمْ: خَرجتُم من إحرامِكم، أو خرجتُم مِن الحرَمِ، وأصل الحَلِّ: حَلُّ العُقدةِ، وفَتْح الشَّيءِ.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ: ولَا يَحمِلنَّكم، أو لا يَكْسِبنَّكم، وجَرَم أَيْ: كَسَبَ؛ لأنَّ الَّذي يَحوزُه فكأنَّه اقْتَطَعه، ويقال: جَرَمَ: إذا أَذْنَبَ وَاكْتَسَبَ الإثمَ، ولا يكادُ يُقالُ في عامَّةِ كلامِهم للكسْبِ المحمودِ، وأصل (جرم) يدلُّ على القَطعِ.

شَنَآنُ: بَغضاءُ، أو شِدَّةُ البُغض والعداوة؛ يُقال: شَنِئْتُه، أي: تقذَّرْتُه بُغضًا له.

تفسير الآيتين:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، قوموا بإتمامِ وإكمالِ جميعِ العُهودِ التي بينكم وبين الخالِق سبحانه، وجميعِ العهودِ التي بينكم وبين المخلوقينَ؛ ما لم تُخالِفْ شَرْعَ اللهِ تعالى.[(6)]

أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ.

أي: قد أحلَّ اللهُ تعالى لأجْلِكم- أيُّها المؤمنون- الإبلَ والبَقر والغنَم؛ فضلًا منه ورحمةً.

إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ.

أي: إلَّا ما سيُتلَى عليكم تحريمُه منها في قولِه سبحانه: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ... [المائدة: 3].

---

(6) قال ابنُ جريرٍ: (اختلَف أهلُ التأويلِ في العقودِ التي أمَر الله جلَّ ثناؤُه بالوفاءِ بها بهذه الآيةِ، بعدَ إجماعِ جميعِهم على أنَّ معنى العقودِ: العهودُ) ((تفسير ابن جرير)) (8/5).

غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ.

أي: ويُستثنى أيضًا مِن حِلّ بهيمة الأنعامِ لكم صيدُها وأنتم في الحَرَم، أو وأنتم مُحرِمون بحَجٍّ أو عُمرةٍ.

إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ.

أي: إنَّ الله تعالى يَقضي في خَلْقِه ما يشاءُ، ومن ذلك تحليلُ وتحريمُ ما يشاءُ، وهو الحكيمُ في جميعِ ما يُقدِّره ويَشْرَعُه من أحكامٍ.[7]

---

(7) قال القرطبيُّ: (وهذه الآيةُ مما تلوحُ فصاحتُها وكثرةُ معانيها، على قلَّة ألفاظِها، لكلِّ ذي بصيرةٍ بالكلامِ؛ فإنَّها تضمَّنت خمسةَ أحكامٍ:

الأولُ: الأمرُ بالوفاءِ بالعقود.

الثاني: تحليلُ بهيمةِ الأنعام.

الثالثُ: استثناءُ ما يلي بعدَ ذلك.

الرابعُ: استثناءُ حالِ الإحرامِ فيما يُصادُ.

الخامسُ: ما تقتضيه الآيةُ مِن إباحةِ الصَّيد لمَن ليس بمُحرِمٍ).

((تفسير القرطبي)) (6/31).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ.

أي: يا أيُّها المؤمنون، لا تنتَهِكوا ما حرَّمَ اللهُ تعالى عليكم، ولا تُضَيِّعوا فرائضَه، ومِن ذلك مناسِكُ الحجِّ.

وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ.

أي: ولا تَنتهِكوا حُرمةَ الأشهُرِ الحُرُمِ بابتداءِ القِتالِ فيها، وبغيرِ ذلك من أنواعِ الظُّلْمِ والمحرَّماتِ.[(8)]

قال تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ [التوبة: 36].

(8) قال ابنُ كثير: (وقد ذهب الجمهور إلى أنَّ ذلك منسوخ، وأنه يجوزُ ابتداء القتال في الأشهر الحرم، واحتجُّوا بقوله: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ [التوبة: 5]،
قالوا: والمراد أشهرُ التسييرِ الأربعة، فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، قالوا: فلم يَستثنِ شهرًا حرامًا من غيره) ((تفسير ابن كثير)) (2/9).

وعن نُفَيعِ بنِ الحارثِ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ – ﷺ – قال: ((إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئَتِه يومَ خلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ؛ السَّنةُ اثنا عشرَ شهرًا، منها أربعةٌ حُرمٌ؛ ثلاثٌ متوالياتٌ: ذو القَعدةِ وذو الحِجةِ والمحَرَّمُ، ورجبُ مُضَرَ،[9] الذي بين جُمادى وشعبانَ)).[10]

وَلَا الْهَدْيَ.

أي: ولا تَنتهِكوا ما يُهدَى إلى الحَرَم من إبلٍ أو بقرٍ أو غنمٍ تقرُّبًا إلى الله تعالى، فلا تذبحوه قبلَ بلوغِه مَحِلَّه، ولا تَحُولوا بينه وبين الوصولِ إلى محِلِّه، بل عَظِّموه.

وَلَا الْقَلَائِدَ.

أي: ولا تَنتهِكوا أيضًا الهَدْيَ الذي تُجعَل له قلائدُ في عُنقِه؛ وكانت الهدْيُ تُقلَّدُ إظهارًا لشعائرِ الله تعالى، وحملًا للنَّاسِ على الاقتداءِ، فتَبعَث مَن يراه على الإتيانِ بمثلِه، وتعليمًا لهم للسُّنَّة، وليُعْرَفَ أنه هديٌ فيُحْتَرَم.

---

(9) ورجبُ مُضرَ: رجَب: هو اسم الشهر الذي بين جُمادى وشَعبان، من رَجِبْته، أي: هِبْتُه وعظَّمْته، فهو مرجوبٌ؛ ومنه سمِّي رجب؛ لأنَّهم كانوا يُعظِّمونه في الجاهليَّة ولا يستحلُّون فيه القِتال، ومضر: اسم قَبيلة، وإنَّما أضيف لهم فقيل: رجَبُ مُضَرَ؛ لأنَّه كان بين بني مُضَر وبين ربيعةَ اختلافٌ في رجب؛ فكانت مُضر تجعَلُ رجبًا هذا الشَّهرَ المعروف الآن، وهو الذي بين جُمادَى وشعبان، وكانوا مُتمسِّكين بتعظيمه، وكانتْ ربيعةُ تجعلُه رمضانَ؛ فأُضيفَ إلى مُضرَ مبالغةً في إيضاحِه وإزالةً للَبَس عنه.

وقيل: لأنَّهم كانوا أَشدَّ تعظيمًا له مِن غيرِهم، فكأنَّهم اختُصُّوا به.

ينظر: ((الصحاح)) للجوهري (1/133)، ((النهاية)) لابن الأثير (2/197)، ((شرح النووي على مسلم)) (11/168)، ((فتح الباري)) لابن حجر (8/325).

(10) رواه البخاري (4662) واللفظ له، ومسلم (1679).

وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا.

أي: ولا تستحلُّوا قِتالَ القاصدين إلى بيتِ الله تعالى الحرامِ، الذي مَن دخَلَه كان آمنًا، والحالُ أنَّهم طالبونَ فَضلَ الله تعالى بالتِّجارةِ والمكاسِبِ المباحَةِ، أو راغبونَ في رِضوانِه بالحجِّ والعُمرةِ والطَّواف بالبيت، والصَّلاة وغيرِها من أنواعِ العباداتِ، فلا تَصدُّوهم ولا تتعرَّضوا لهم بسوءٍ، ولا تُهينوهم، بل عظِّموا الزَّائرينَ لبيتِ الله عزَّ وجلَّ.

وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا.

أي: وإذا فرَغْتُم مِن إحرامِكم بالحجِّ أو العُمرةِ وأحللتُم منه، وخرجتُم من الحَرَم، فلا حَرَج عليكم في اصطيادِ ما كان محرَّمًا عليكم صيدُه.(11)

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ(12) شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا.

---

(11) قال ابنُ جريرٍ: (يعني بذلك جلَّ ثناؤه: وإذا حللتم فاصطادوا الصيد الذي نهيتُكم أن تحلُّوه وأنتم حرمٌ، يقول: فلا حرجَ عليكم في اصطيادِه واصطادوا إن شئتُم حينئذٍ؛ لأنَّ المعنى الذي مِن أجلِه كنتُ حرَّمته عليكم في حالِ إحرامِكم قد زال، وبما قلنا في ذلك قال جميعُ أهلِ التأويلِ) ((تفسير ابن جرير)) (8/42-43).

(12) مجموع ما قيل في معنى ﴿لايجرمنَّكم﴾ ثلاثة أقوال: الأول: لايَحمِلنَّكم.

والثاني: لا يكسِبنَّكم.

والثالث: لا يُحِقَّنَّ لكم.

وعلَّق ابنُ جرير (٨/٤٥)، وابن عطية (٣/٩١) على تلك الأقوال بأنها متقاربة المعنى.

أي: ولا يَحملنَّكم– أيُّها المؤمنون– بُغضُ قومٍ على أن تَعْتَدوا عليهم فتقتَصُّوا منهم ظلمًا؛ طلبًا للاشتفاءِ منهم؛ لأجْل أنْ منعوكم من الوصولِ إلى المسجِدِ الحرام؛ فإنَّ العبدَ عليه أن يلتزمَ أمْرَ الله تعالى، ويَسلُكَ طريقَ العَدْلِ، ولو اعتُدِيَ عليه.

القِراءاتُ ذاتُ الأَثَرِ في التَّفسيرِ:

في قوله تعالى: أَنْ صَدُّوكُمْ قِراءتان:[13]

1– قِراءة أَنْ صَدُّوكُمْ بالفتْح على أنَّها عِلَّة للشَّنَآنِ، والمعنى: لا يَحْمِلَنَّكم بغضُكم لقومٍ على الاعتداءِ عليهم؛ لأجْلِ صَدِّهم إيَّاكم عن المسجدِ الحرامِ.

2– قِراءة إِنْ صَدُّوكُمْ بـ (إن) الشرطيَّة، والمعنى: لا يحملنَّكم بُغضُ قومٍ على الاعتداءِ عليهم، إنْ صدُّوكم عن المسجدِ الحرامِ.

---

(13) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (إِنْ صَدُّوكُمْ) بكَسْر الهمزة، وقرأ الباقون (أَنْ صَدُّوكُمْ) بفتحها.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 223).

ويُنظر لمعنى القراءتين: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 220)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (4/192).

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.(14)

أي: ولْيُعِنْ بعضُكم بعضًا– أيُّها المؤمنون– على فِعْل الطَّاعاتِ، وتَرْكِ المحرَّمات.

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

أي: ولا يُعِنْ بعضُكم بعضًا– أيها المؤمنونَ– على اقترافِ المعاصي، وارْتِكابِ الظُّلم، والاعتداءِ على حقوقِ الخَلْق.

وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

أي: وامْتَثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به واجتنِبوا ما نهاكم عنه؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ذو عِقابٍ شديدٍ على مَن عصاه، وتجرَّأَ على محارِمه.

---

(14) قال ابنُ القيم (١/٣٠٧–٣٠٨ بتصرف) في معنى البر والتقوى: «حقيقة البِر: هو الكمال المطلوب من الشيء والمنافع التي فيه والخير، كما يدل عليه اشتقاق هذه اللفظة وتصاريفها في الكلام.

وأما التقوى فحقيقتها: العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمر الله به؛ إيمانًا بالأمر، وتصديقًا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه؛ إيمانًا بالنهي، وخوفًا من وعيده».

سُورةُ المائِدَةِ

الآية (3)

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)

غريب الكلمات:

أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ: أي: رُفِع فيه الصَّوتُ بتسميَةِ غيرِ الله، أو ما ذُبِحَ لغيرِ الله، وأصْل (هلل): يَدلُّ على رفْعِ صوتٍ، ومنه قولهم: أهلَّ بالحجِّ: رفَع صوتَه بالتَّلبيَةِ.

الْمُنْخَنِقَةُ: التي تموتُ خنقًا، وهو حبسُ النَّفَس، سواءٌ فعَل بها ذلك آدميٌّ، أو اتَّفق لها ذلك في حَجَرٍ أو شجرةٍ أو بحبلٍ أو نحوه، وأصل (خنق): يدلُّ على ضِيق.

الْمَوْقُوذَةُ: المقتولةُ بالضَّربِ، والوَقْذ: الإيلامُ بالضَّرْب، وأصْل (وقذ): يدلُّ على ضربٍ بخَشَب.

الْمُتَرَدِّيَةُ: الواقعةُ من جَبَلٍ أو حائطٍ، أو في بِئر؛ يُقال: تردَّى: إذا سقَط، وأصله يدلُّ على رمْيٍ أو ترامٍ، وما أشبهَ ذلك.

النَّطِيحَةُ: المنطوحةُ التي نطحتْها شاةٌ أو بقرةٌ فماتتْ.

ذَكَّيْتُمْ: ذبَحتُم، فقطعْتُم أوداجَه، وأنهَرْتم دمَه، وذكرتُم اسمَ الله تعالى إذا ذبَحْتُموه، وأصلُ الذَّكاة: تمامُ الشَّيْء.

النُّصُبِ: الحَجَر، أو الصَّنَم الذي يَذبحونَ عنده، أو يُنصَب للعبادةِ، وجمْعُه أنصابٌ، وقيل: النُّصُب جمعٌ مفردُه نَصِيبٌ، وأصلُ (نصب): يدلُّ على إقامةِ شيءٍ، وإهدافٍ في استواءٍ.

تَسْتَقْسِمُوا: تطلُبوا عِلمَ ما قُسِمَ لكم، والاستقسامُ بها: أن يُضربَ بها، ثم يُعمَلَ بما يَخْرُجُ فيها من أمْرٍ أو نهيٍ، وأُخِذ الاستقسامُ من القَسْم، وهو النَّصيبُ، كأنَّه طَلَبُ النَّصيبِ.

بِالْأَزْلَامِ: جمْعُ زَلَمٍ وزُلَمٍ، وهي القِداحُ التي كانوا يَضربونَ بها على المَيسرِ ويَستَقْسِمون بها، أو هي سِهامُ العربِ، وأصل (زلم): يدلُّ على نحافةٍ ودِقَّةٍ في مَلاسةٍ.

فِسْقٌ: خروجٌ عن حدودِ الشَّرعِ؛ من قولهم: فَسَق الرُّطَب، إذا خرَج عن قِشْرِه، والفُسُوق: الخروجُ من الطاعة إلى المعصِيَة، والخروجُ من الإيمانِ إلى الكُفرِ.

فَلَا تَخْشَوْهُمْ: فلا تَخافوهم، والخَشْيةُ: أكثرُ ما تكونُ عن عِلمٍ بما يُخشَى منه، وقيل: هي خوفٌ يشوبُه تعظيمٌ، وأصل خَشِيَ: فواتٌ بالكليَّةِ يدلُّ على خوفٍ وذُعْرٍ.

مَخْمَصَةٍ: أي: مجاعةٍ؛ مُشتقَّةٌ من خَمْصِ البَطن، أي: ضُمورِه، وأصلُ (خمص): يدلُّ على الضُّمْرِ والتَّطامُنِ.

مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ: مُنحرِفٍ، مائلٍ إلى ذلك متعمِّدًا، بأنْ يأكُلَ بعدَ زوالِ الضَّرورة، أو يأكُلَ فوقَ الشِّبَع، وأصلُ الجنف: الميلُ ميلًا ظاهِرًا، والعدولُ عن الحقِّ.

تفسير الآية:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3).

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ.

أي: حرَّم اللهُ تعالى عليكم- أيُّها المؤمنونَ- أكْلَ المَيْتَة، وهي: ما مات مِن الحيوان حتْفَ أنفِه، من غير ذكاةٍ شرعيَّة، ولا اصطيادٍ.

وَالدَّمُ.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ الدَّمِ المسفوحِ،[15] كالذي يخرُج عند الذَّكاةِ، أو يخرج عند فصْد العِرْقِ، وما أشبهَ ذلك.

---

(15) قال ابن جرير: (فأمَّا ما كان قد صارَ في معنى اللَّحْمِ كالكَبِدِ والطِّحال، وما كان في اللَّحمِ غير مُنسفِح؛ فإنَّ ذلك غيرُ حرامٍ؛ لإجماعِ الجميعِ على ذلك) ((تفسير ابن جرير)) (54/8).

قال تعالى: قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا [الأنعام: 145].

وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ.

أي: وحرَّم عليكم أكْلَ الخِنزيرِ؛ إنسيّه ووحشيّه، وظاهرِه وباطنِه؛ فجميعُ أجزائِه مُحرَّمٌ أَكْلُها.

وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ ما ذُبِحَ فذُكر عليه غيرُ اسمِ الله عزَّ وجلَّ.

وَالْمُنْخَنِقَةُ.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ ما يموتُ بالخَنقِ، سواءٌ بنفسها؛ كإدخالِها رأسَها في شيءٍ ضيّقٍ، فتعجِز عن إخراجِه حتى تموتَ، أو بخَنْقِ غيرِها لها.(16)

(16) قال ابنُ عطية: (قوله تعالى: وَالْمُنْخَنِقَةُ معناه التي تموتُ خَنقًا، وهو حَبسُ النَّفَس، سواءٌ فَعَل بها ذلك آدميٌّ، أو اتَّفق لها ذلك في حجرٍ أو شجرةٍ، أو بحبلٍ أو نحوِه، وهذا إجماعٌ) ((تفسير ابن عطية)) (150/2).

وَالْمَوْقُوذَةُ.[17]

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أَكْلَ الموقوذةِ، وهي التي تُضرَب بشَيءٍ ثقيلٍ غير محدَّدٍ حتى تموتَ، كالتي تُضرَب بعصًا، أو حصًى، أو خَشبةٍ.

عن عَديِّ بن حاتمٍ الطائيِّ رضي الله عنه، قال: ((قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إني أُرسِلُ الكِلابَ المُعلَّمةَ، فيُمْسِكْنَ عليَّ، وأذكرُ اسمَ اللهِ عليه؟ فقال: إذا أرسلتَ كلبَك المُعلَّمَ، وذكَرْتَ اسمَ اللهِ عليه، فكُلْ، قلتُ: وإنْ قتلْنَ؟ قال: وإنْ قتلْنَ! ما لم يَشرَكْها كلبٌ ليس معها، قلتُ له: فإنِّي أَرْمي بالمِعراضِ[18] الصَّيدَ، فأصيبُ؟ فقال: إذا رَميتَ بالمعراضِ فخَرَق، فكُلْهُ، وإنْ أصابَه بعَرْضِه، فلا تأكُلْه)).[19]

وَالْمُتَرَدِّيَةُ.

(17) ذهَبَ ابنُ جرير (٨/٥٧)، وابنُ عطية (٣/٩٦)، وابنُ كثير (٣/١٨) إلى أنّ ﴿الموقوذة﴾ هي التي تُرْمى أو تضرب بعصا أو بحجر أو نحوه، استنادًا إلى لغة العرب، وقول أهل التأويل.

قال ابنُ جرير (٨/٥٧): "يعني –جل ثناؤه– بقوله: ﴿والموقوذة﴾: والميتةُ وقيذًا.

يقال منه: وقَذَه يَقِذُه وقْذًا، إذا ضرَبه حتى أشفى على الهلاك.

ومنه قول الفرزدق: شغّارة تَقِذُ الفصِيلَ برِجْلِها ...

فَطّارة لِقَوادِمِ الأبكارِ".

(18) المِعْراض– بكسر الميم–: سهمٌ بلا رِيش ولا نَصْل، وإنَّما يُصيب بعَرضِه دون حَدِّه.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (215/3).

(19) رواه مسلم (1929).

قال ابنُ كثير: (ففرَّق بين ما أصابه بالسَّهم، أو بالْمِزْراق [الرمح الصَّغير] ونحوِه بحَدِّه فأحلَّه، وما أصابَه بعُرْضِه فجعله وقيذًا فلم يُحِلَّه، وقد أجمعَ الفقهاءُ على هذا الحُكم هاهنا ((تفسير ابن كثير)) (18/3).

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ المتردِّيَة، وهي التي تَسقُط من موضعٍ عالٍ فتموتُ بذلك.

وَالنَّطِيحَةُ.[20]

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ المنطوحةِ، وهي التي ماتتْ بسبب نَطْحِ غيرِها لها.

وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ.[21]

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ التي عَدَا عليها سَبُعٌ، كالأسدِ أو الفهد أو النَّمِر وغيرها، فأكَلَ بعضَها فماتتْ بذلك.

---

(20) ذَهَبَ ابنُ جرير (٨/٥٩-٦٠)، وابنُ عطية (٣/٩٧)، وابنُ كثير (٣/٢٢) إلى أنّ ﴿النَّطِيحَة﴾ (فعِيلَة) بمعنى (مَفْعُولَة)، أي: مَنطُوحَة، وهي الشاة التي ماتت بسبب نَطْحِ غيرِها لها، استنادًا إلى لغة العرب، وقول أهل التأويل والقراءات.

قال ابنُ جرير: «يعني بقوله: ﴿النطيحة﴾: الشاة التي تنطحها أخرى، فتموت من النِّطاحِ بغير تَذْكِيةٍ، فحرَّم الله -جَلَّ ثناؤه- ذلك على المؤمنين، إن لم يُدرِكوا ذكاتَه قبلَ موتِه».

وزاد ابن كثير: «وإنْ جرَحَها القرنُ، وخرَجَ منها الدم، ولو مِن مَذْبَحِها».

وقال ابنُ عطية: «وكلّ ما مات ضغطًا فهو نطيح ...

وقرأ أبو ميسرة: (والمنطوحة)».

(21) ذَهَبَ ابنُ جرير (٨/٦٢)، وابنُ عطية (٣/٩٧)، وابنُ كثير (٣/٢٢) إلى أنّ معنى ﴿وما أكل السبع﴾: وما افترسه ذو نابٍ وأظفار من الحيوان كالأسد والنمر، ونحوهما، استنادًا إلى قول أهل التأويل والقراءات.

قال ابنُ جرير: «يعني -جَلَّ ثناؤه- بقوله: ﴿وما أكل السبع﴾: وحرّم عليكم ما قَتَلَ السَّبُعُ غيرُ المُعَلَّمِ مِن الصَّوائِدِ».

ثم أسند عن ابن عباس أنه قرأ: (وأَكِيلُ السَّبُعِ).

إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ.

أي: إنَ أمكنَ تَدارَكُ المُنخَنِقةِ والموقوذةِ والمتردِّيةِ والنَّطيحةِ وما أَكَلَ السَّبعُ– إنْ أمكن تَدارُكُها بذَكاةٍ شرعيَّة، وفيها حياةٌ مستقرَّة؛ فإنَّه يحِلُّ أكلُها.

وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ.[22]

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكلَ ما ذُبِحَ عند الأوثانِ تقربًا لها.

وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ.

أي: وحرَّم عليكم– أيُّها المؤمنون– الاستقسامَ بالأزلامِ، وقد كانتِ العربُ في جاهليَّتِها يَتعاطَون ذلك، وهي عبارةٌ عن قِداحٍ ثلاثة، مكتوبٌ على أحدها: «افْعَلْ»، وعلى الآخر: «لا تفعَلْ»، والثالث ليس عليه شيءٌ. وقِيل: كان يُكتَب على الواحِدِ منها: «أَمَرني ربِّي»، وعلى الآخر: «نَهاني ربي»،

(22) ذَهَبَ ابنُ جرير إلى أنّ الأنصاب غير الأصنام، مُسْتَدِلًّا بآثار السلف، فقال مُبَيِّنًا قوله تعالى: ﴿وما ذُبِحَ عَلى النُّصُبِ﴾ (٨/٦٩–٧٠): «يعني: وحرَّم عليكم أيضًا الذي ذُبِح على النُّصُب.
ف(ما) في قوله: ﴿وما ذُبِحَ﴾ رُفِع عَطفًا على (ما) التي في قوله: ﴿وما أَكَلَ السَّبُعُ﴾.
والنُّصُب: الأوثان من الحجارة، جماعة أنصاب كانت تُجْمَع في الموضع من الأرض، فكان المشركون يُقَرِّبون لها، ولَيْسَت بأصنام».
وذَكَر ابنُ عطية (٣/١٠٠) أنّ الصنم يُقال له: «نصب» أيضًا، مستندًا إلى اللغة والقراءات، فقال: «ما ذُبِح على النصب جزء مما أُهِلَّ به لغير الله، لكن خُصَّ بالذِّكْر بعد جنسه؛ لشُهْرَة الأمر، وشَرَف الموضع، وتعظيم النفوس له.
وقد يقال للصنم أيضًا: نُصُب؛ لأنّه يُنْصَب.
وروي أنّ الحسن بن أبي الحسن قرأ: (وما ذبح على النَّصْب) بفتح النون وسكون الصاد، وقال: على الصنم».

والثالث ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطَلَع السَّهمُ الآمِرُ فَعَلَه، أو الناهي ترَكَه، وإنْ طلع الفارغُ أعاد الاستقسامَ، حتى يخرجَ أحدُ القَدَحين الآخَرين فيعمل به.

ذَلِكُمْ فِسْقٌ.

أي: إنَّ سائرَ الأمورِ التي حرَّمها الله تعالى في هذه الآية– كأكْلِ المَيْتَة والدَّمِ ولحمِ الخنزير، والاستقسامِ بالأزلام، وغيرِ ذلك– خروجٌ عن طاعةِ الله تعالى إلى مَعصِيَته.

الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ.

أي: الآنَ (والمرادُ باليوم يومُ عَرفَةَ في حَجَّةِ الوداعِ) انقطَع طمَعُ الكفَّار والمشركِينَ من أن ترتدُّوا عن دِينِكم– أيُّها المؤمنون.

فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ.

أي: فلا تَخافُوا من المشركين، وخافوني.

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.

أي: اليومَ (وهو يومُ عَرفةَ في حَجَّةِ الوداعِ) أكملتُ لكم دِينَ الإسلامِ– أيُّها المؤمنونَ.[23]

---

(23) عن أبي سعيد الخدري –من طريق أبي هارون العَبْدِيّ– قال: لَمّا نَصَّب رسول الله ﷺ عليًّا يوم غَدِير خُم، فنادى له بالوِلاية؛ هبط جبريل عليه بهذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي.

أي: وأتمَمْتُ عليكم نِعمتي- أيُّها المؤمنون- بإظهارِكم على المشركينَ، ونفْيِي إيَّاهم عن بلادِكم، وقطعي طمَعَهم في عودِكم إلى الشِّركِ، وإكمالِ دِينِكم.

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.

أي: واخترتُ واصطفيتُ لكم الإسلامَ دينًا، فكما ارتضيتُه لكم؛ فارْضَوْه أنتم لأنفُسِكم، وقوموا به والْزموه، ولا تتَّخذوا دِينًا سواه.

عن طارِقِ بنِ شِهابٍ، قال: (جاء رجلٌ مِن اليهودِ إلى عُمرَ، فقال: يا أميرَ المُؤْمِنِينَ؛ آيةٌ في كِتابِكم تَقْرَؤونَها، لو علينا نَزَلَتْ- مَعْشرَ اليهودِ- لَاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عِيدًا، قال: وأيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة: 3]، فقال عُمرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ اليومَ الَّذي نَزَلَتْ فيه، والمكانَ الَّذي نزلَتْ فيه، نزلَتْ على رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم بعرفاتٍ في يومِ جُمُعَةٍ). (24)

انْتَقَدَ ابنُ تيمية (٢/٤٠٢) مستندًا إلى دلالة التاريخ القولَ بنزول الآية يوم غدير خم، فقال: «قد ثبت في الصحاح والمساند والتفسير أنّ هذه الآية نزلت على النبي ﷺ وهو واقف بعرفة، وهذا مستفيض من وجوه، وهو منقول في كتب المسلمين: الصحاح، والمساند، والجوامع، والسير، والتفسير، وغير ذلك.

وهذا اليوم كان قبل يوم غدير خم بتسعة أيام؛ فإنه كان يوم الجمعة تاسع ذي الحجة، فكيف يقال: إنها نزلت يوم الغدير؟!».

(24) أخرجه البخاري (45)، ومسلم (3017) واللفظ له.

فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ.

أي: فمَن ألجأتْه الضرورةُ لأكْلِ شيءٍ من هذه المحرَّماتِ، التي ذَكَرها اللهُ تعالى في هذه الآيةِ.

غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ.

أي: غيرَ مُريدٍ لهذه المحرَّماتِ؛ بألَّا يأكُلَ حتى يُضطَرَّ، ولا يَزيدَ في الأكْلِ على كِفايتِه.

فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: فله تناولُ ذلك، واللهُ غفورٌ له؛ لأنَّه تعالى يعلَمُ حاجةَ عبْدِه المضطرِّ، وافتقارَه إلى ذلك؛ فيتجاوزُ عن أكْلِ ما حرَّمَه، ورحيمٌ به حيثُ أباحَ له الأكْلَ في هذه الحالِ.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيتين (4–5)

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (4)

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5)

غريب الكلمات:

الْجَوَارِحِ: أي: الصَّوائِدِ أو الكَواسِبِ- كالكِلابِ والفُهودِ، والصُّقورِ وأشباهِها- وهي ما صِيدَ به من سِباعِ البَهائِمِ والطَّير، أو كِلابِ الصَّيد، وأصلُ الاجتراح: الاكتساب.

مُكَلِّبِينَ: أي: أصحابَ ضَوارٍ وكلابٍ، وَالمُكَلِّبُ: الذي يعلِّم الكلبَ، ويُقال: رجلٌ مُكلِّبٌ وكَلَّابٌ، أي: صاحبُ صيدٍ بالكِلابِ.

الْمُحْصَنَاتُ: ذواتُ الأزواجِ، والمحصناتُ أيضًا: الحرائرُ وإنْ لم يَكُنَّ مزوَّجاتٍ، والعفائفُ، فهي مُحْصَنَة، إما بعفَّتها، أو تزوُّجها، أو بمانعٍ مِن شَرَفِها وحُرِّيَّتِها، وأصلُ الحِصن: الحِفظُ والحياطةُ والحِرز.

مُحْصِنِينَ: أي: متزوِّجين وأعفَّاءَ بالنِّكاحِ، وأصلُ الحِصن: الحِفظُ والحِياطةُ والحِرز.

مُسَافِحِينَ: جَمْعُ مسافِح، وهو الزَّاني، أو المجاهِر بالزِّنا، الذي يَصبُّ ماءَه حيث اتُّفِقَ، مِن سَفَحْتُ القِربةَ: إذا صَببْتَها، وسُمِّي الزِّنا سفاحًا؛ لأنَّه يُسافَحُ فيه، أي: يَصُبُّ الرَّجلُ النُّطفةَ وتَصُبُّ المرأةُ النُّطفةَ، وأصل (سفح): يدلُّ على إراقةِ شيءٍ.

أَخْدَانٍ: جمْع خِدْن، وهو الزَّاني سرًّا، أو مُصاحِبٌ وصَديق، أو خليلٌ في السِّرِّ، ويُطلَقُ كذلك على الحبيبِ والرَّفيق، وأكثرُ ذلك يُستعملُ فيمَن يصاحبُ بشهوةٍ؛ يُقال: خِدْنُ المرأةِ وخَدينُها، وأصل (خدن): المصاحَبة.

حَبِطَ: أي: بطَلَ؛ فالحَبَط: البُطلانُ والألَم، وأصلُه: أن تُكثِرَ الدابَّةُ أكلًا حتى يَنتفخَ بطنُها فتموتَ.

تفسير الآيتين:

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (4).

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ.

أي: يسألُكَ أصحابُك– يا محمَّد– ما الذي أُبيحَ لهم أكْلُه من الأطعِمَةِ؟

قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ.

أي: قلْ يا محمَّدُ: أُبيحَ لكم أكْلُ الطيِّباتِ، وهي الحلالُ الذي أَذِنَ لكم ربُّكم في أكْلِه من كلِّ ما فيه نفعٌ أو لذَّة، من غيرِ ضَررٍ بالبدنِ ولا بالعَقلِ.

وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ.

أي: وأُبيحَ لكم أيضًا أكْلُ ما اصطادَه لكم سِباعُ البَهائِم والطَّيرِ–كالكِلاب والصُّقور وغيرها– التي علَّمتموها؛ مُؤدِّبينَ لها ومُدرِّبين إيَّاها على كيفيَّةِ اقتناصِ الصَّيدِ.

تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ.

أي: تُؤدِّبون الجوارحَ، وتُدَرِّبونَهُنَّ على طلبِ الصَّيدِ لكم، ممَّا منَّ اللهُ تعالى به عليكم من العِلم بآدابِ الصَّيدِ، وذلك كأنْ يسترْسِلَ الجارحُ إذا أُرْسِلَ، ويَنزجرَ إذا زُجِرَ.

فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ.

أي: فكُلوا- أيُّها الناس- ممَّا أمسكتْ جوارحُكم من الصَّيدِ لأجلِكم.

وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

أي: واذكُروا اسمَ الله عندَ إرسالِ الجارحِ.

عن عَدِيّ بن حاتِمٍ الطائيّ رضي لله عنه، أنه قال: ((يا رسولَ اللهِ، إنِّي أُرسِلُ كَلبي وأُسَمِّي، فقال النبيُّ - ﷺ -: إذا أَرْسَلْتَ كلبَك وسمَّيتَ، فأخَذ فقتَل فأكَل فلا تأكُلْ، فإنَّما أمسَك على نَفْسِه، قُلتُ: إني أُرْسِلُ كلبي فأجِدُ معه كلبًا آخرَ، لا أدري أيُّهما أخَذَه؟ فقال: لا تأكُلْ؛ فإنَّما سمَّيْتَ على كلبِكَ ولم تُسَمِّ على غيرِه)).(25)

وَاتَّقُوا اللَّهَ.

أي: امتثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتنِبوا ما نهاكم عنه.

---

(25) رواه البخاري (5486) واللفظ له، ومسلم (1929).

إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

أي: إنَّ اللهَ سبحانه سريعُ الإحْصاءِ لأعمالِ عبادِه، سريعُ المجازاةِ لهم، يُحاسِبُ الخلائقَ يومَ القيامةِ على أعمالِهم في مدَّةٍ وجيزةٍ جدًّا، وإن حسابَه عزَّ وجلَّ قريبٌ؛ لسرعةِ انقضاءِ الدُّنيا.

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5).

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ.

أي: اليومَ أباح اللهُ تعالى لكم- أيُّها المؤمنون- الحلالَ من الذَّبائحِ والأطعمةِ ممَّا ليس بضارٍّ ولا مُستقذَرٍ، دون الخبيثِ منها.

وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ.

أي: وذبائحُ أهلِ الكتابِ من اليهودِ والنَّصارى حلالٌ لكم- أيُّها المؤمنون- أكْلُها.

وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ.

أي: وذبائِحُكم- أيُّها المؤمنونَ- حلالٌ لليهودِ والنَّصارى؛ فلكم أن تُطْعِموهم مِن ذبائحِكم.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ.

أي: وأحلَّ لكم– أيُّها المؤمنون– نِكاحَ الحرائرِ العفيفاتِ من النِّساءِ المؤمناتِ.

وَالْمُحْصَنَاتُ[26] مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ[27] مِنْ قَبْلِكُمْ.

أي: وأحلَّ لكم– أيُّها المؤمنون– أيضًا نِكاحَ الحرائرِ العفيفاتِ من نِساء اليهودِ والنَّصارى.

إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ.

أي: إذا أعطيتُم مَن نكحتُم– من مُحصناتِكم ومُحصناتِهم– مُهورَهنَّ.

مُحْصِنِينَ.

أي: حالةَ كونِكم مُحْصِنِينَ لِنسائكم؛ بسببِ حِفظكم لفروجِكم عن غَيرِهنَّ، وعفَّتِكم عن الزِّنا.

---

(26) اخْتُلِفَ في المراد بالمحصنات في الآية على قولين: أحدهما: الحرائر دون الإماء.

والآخر: العفيفات وإن كنّ إماءً.

واختلفوا في قوله: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ أهو عامّ، أو خاصّ؟ على ثلاثة أقوال: أولها: هو عامّ يشمل كل نساء أهل الكتاب.

ثانيها: هو خاصّ بالذِّمّيّات دون الحربيات.

ثالثها: هو خاص بنساء بني إسرائيل دون غيرهن من نساء أهل الكتاب.

ورجَّحَ ابن جرير (٨/١٤٦–١٤٧): أنّ المراد بهن حرائر المؤمنين، وأهل الكتاب عامة، بدلالة القرآن والإجماع.

(27) اخْتُلِفَ في المراد بـ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ على قولين: الأول: أنهم كل كتابيٍّ ممن أُنزل عليه التوراة والإنجيل، أو مِمَّن دخل في مِلَّتهم، فدانَ دينهم، وحرَّمَ ما حرَّموا، وحلَّل ما حلَّلوا، منهم ومن غيرهم من سائر أجناس الأمم.

والثاني: أنهم الذين أنزل عليهم التوراة والإنجيل من بني إسرائيل وأبنائهم، دون غيرهم ممن دان بدينهم، وهم من غير بني إسرائيل.

ورجَّحَ ابن جرير القولَ الأولَ؛ لإجماع الحجة.

غَيْرَ مُسَافِحِينَ.

أي: ولستُم كذلك بالزُّناة المُعلِنين بالزِّنا، الذين يَزنون بأيِّ امرأةٍ كانت، ولا يردُّون أنفُسَهم عمَّن جاءَهم.

وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ.

أي: ولا مِن ذوي العَشيقاتِ الذين لا يَفعلون الفاحشةَ إلَّا خُفيَةً معهنَّ.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.

أي: ومَن كفَر بالله تعالى وما يجبُ الإيمانُ به، فقد بطَلَ ثوابُ عملِه الذي كان يَعملُه في الدُّنيا، إنْ مات على كُفرِه.

كما قال تعالى: وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة: 217].

وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

أي: وهو في الآخِرةِ من الهالِكين، الذين خَسِروا أنفُسَهم وأموالَهم وأهليهم يومَ القيامَةِ، وحصَلوا على الشَّقاوةِ الأبديَّة.

سُورةُ المائِدَةِ

الآية (6)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا
بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ
جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)

غريب الكلمات:

الْمَرَافِقِ: جمْع مِرْفَق، وهو مَوْصِلُ الذِّراعِ في العَضُد، وسُمِّي مِرفقًا؛ لأنَّه يُستراحُ في الاتِّكاءِ عليه؛ يُقال: ارتفق الرَّجُل: إذا اتَّكأ على مِرفقِه في جُلوسِه.

جُنُبًا: أي: إنْ أصابتْكم الجَنابة؛ سُمِّيت الجنابةُ بذلك؛ لكونها سببًا لتجنُّب الصلاةِ في حُكم الشَّرعِ، وأصل (جنب): البُعد.

الْغَائِطِ: هو كنايةٌ عن قَضاءِ الحاجةِ؛ والغائطُ المطمئِنُّ من الأرضِ، وجُعِلَ كنايةً عن قضاءِ الحاجةِ؛ لأنَّهم كانوا إذا أرادوا قَضاءَ الحاجةِ أتَوْا غائطًا من الأرضِ، ففَعلوا ذلِك فيه؛ فقِيل لكلِّ مَن قضَى حاجتَه: مُتغوِّط، وأُطْلِقَ الغائطُ على العَذِرَة نفْسِها. وأصْل (غوط): يدلُّ على اطمئنانٍ وغورٍ.

فَتَيَمَّمُوا: اقصِدوا وتَعمَّدوا، وأصلُ التيمُّم: قصْدُ الشيء وتعمُّده.

صَعِيدًا: ترابًا، والصَّعيد: الغُبار الذي يَصعَد؛ من الصُّعود، ويُطلق أيضًا على وجْه الأرض.

حَرَجٍ: أي: ضِيق وإثم، وأصل الحرَج: تجمُّع الشيء وضيقُه.

تفسير الآية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، إذا أردتُم القيامَ إلى الصَّلاةِ.

فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ.

أي: فاغْسلوا الوجهَ، وهو ما تحصُلُ به المواجهةُ، من مَنابِتِ شَعرِ الرَّأس المعتاد، إلى ما انحدَر من اللَّحيينِ والذَّقن طولًا، ومِن الأُذنِ إلى الأُذُن عَرضًا.

وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ.[28]

(28) اختلف أهل التأويل في المرافق، هل هي من اليد الواجب غسلها، أم لا؟ بعد إجماع جميعهم على أن غسل اليد إليها واجب.

أي: واغْسِلوا اليدَ كاملةً مِن أطرافِ الأصابعِ إلى المِرفَقِ– وهو مِفْصلُ العَضُد مِن الذِّراع– مع غَسْلِه.

وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ.

أي: وامْسَحوا جميعَ الرأسِ.

عن عبدِ اللهِ بنِ زيدٍ رضي الله عنه، أنَّه قال في وصْفِ وُضوءِ النبيّ – ﷺ –: ((... ثم مَسَحَ رأسَه بيدَيه، فأَقبلَ بهما وأَدْبرَ، بدَأ بمُقَدَّمِ رأسِه حتى ذهبَ بهما إلى قَفاه، ثم ردَّهُما إلى المكانِ الذي بدَأَ منه...)).(29)

وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ.

أي: واغْسِلوا الرِّجلَ كاملةً من أطرافِ الأصابعِ إلى الكَعب– وهو العَظْمُ الناتئُ عند مِفصَل السَّاق والقَدَم– مع غَسْله، إذا كانت مكشوفةً، وامسحوا على الخُفِّ إذا كانت مستورةً به.

القِراءاتُ ذاتُ الأَثَرِ في التَّفسيرِ:

في قوله تعالى: وَأَرْجُلَكُمْ قراءتان:

---

(29) رواه البخاري (185) واللفظ له، ومسلم (235).

1- قِراءةُ وَأَرْجُلَكُمْ بالنَّصب عطفًا على الوُجُوهِ والأيدي في قولِه تعالى: اغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ؛ فالواجبُ غَسلُها إذا كانت مكشوفةً.[30]

2- قراءة وَأَرْجُلِكُمْ بالجرِّ عطفًا على (رُؤُوسِكم) في قوله تعالى: وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ، والمسحُ في كلامِ العَرَبِ يكون غسلًا، ويكون مَسحًا باليَدِ، والأَخْبارُ جاءت بغَسْلِ الأَرْجُلِ ومَسْحِ الرُّؤُوسِ، أو يكون الخفضُ حَمْلًا على العَامِلِ الأَقْرَبِ للجِوَارِ، ومِن أهْلِ العِلْمِ مَن حَمَلَ قراءةَ الجرِّ على مَسْحِ القَدَمينِ إذا كان عليهما الخُفَّانِ.[31]

وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا.

أي: وإنْ أصابتْكم جنابةٌ فاغتسلوا قبل أن تَقوموا إلى الصَّلاةِ.

---

(30) قرأ بها: نافعٌ، وابن عامر، والكسائيُّ وحفص ويعقوب.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 223).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (1/326)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 221، 223)، ((تفسير ابن كثير)) (2/53)، ((تفسير السعدي)) (ص: 223)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (1/91).

(31) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 223).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (1/326)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 221، 223)، ((النشر)) لابن الجزري (ص: 29)، ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (5/304)، ((تفسير ابن كثير)) (2/53)، ((تفسير السعدي)) (ص: 223)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (1/91).

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى.

أي: وإنْ كُنتم ذَوي مَرَضٍ، يتعذَّرُ معه استعمالُ الماءِ.

أَوْ عَلَى سَفَرٍ.

أي: وإنْ كُنتم مسافرينَ.

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ.

أي: أو كنتُم مُحْدِثينَ؛ الحدَثَ الأصغرَ.

أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ.

أي: أو جامعتُم النِّساءَ.

فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا.

أي: إنْ حصَلَتْ إحدى الحالاتِ السَّابقِ ذِكرُها -كالسَّفرِ- ففقدتُم الماءَ، فعليكم بقَصدِ وجهِ الأرضِ الطَّاهرِ النَّظيفِ.

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ.

أي: فامْسَحوا مِن هذا الصَّعيدِ الطيِّبِ الوجهَ والكفَّينِ.

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ.

أي: لا يُريدُ الله تعالى بما فرَض عليكم من هذه الأحكامِ أن تَقَعُوا في الضِّيقِ والعُسرِ.

وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ.

أي: ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُريد أن يُطهِّركم بما فرَض عليكم من وضوءٍ أو غُسلٍ أو تيمُّمٍ، فتتطهَّروا ظاهرًا طهارةً حسيَّة لأبدانِكم، وتتطهَّروا طهارةً معنويَّةً بتكفيرِ سيِّئاتِكم، ومَحوِ خطيئاتِكم.

وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ.

أي: ويُريد ربُّكم سبحانه أيضًا إتمامَ نِعمَتِه عليكم ببيانِ شرائعِ دِينه، وتيسيرها لعِبادِه.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

أي: كي تَشكُروا الله تعالى- بقلوبِكم وألسنتِكم وجوارِحِكم- على نِعَمِه عليكم.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (7–11)

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ **(7)**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا

تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ **(8)**

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ **(9)**

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ **(10)**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ

أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ **(11)**

غريب الكلمات:

مِيثَاقَهُ: الميثاقُ هو العقدُ المؤكَّدُ بيمينٍ وعهدٍ، أو العهدُ المُحكَم، وأَصْلُ (وثق): العقدُ والإحكامُ.

كُونُوا قَوَّامِينَ: قَوَّامِينَ جمعٌ، مفردُه (قوَّام)، بناءُ مبالغةٍ مِن (قائمٍ)، أي: ليتكررْ منكم القيامُ، وأصلُ (قوم): مراعاةُ الشيءِ وحِفظُه.

شُهَدَاءَ: جمع شهيد، والشَّهادة قولٌ صادرٌ عن عِلمٍ حصَل بمشاهدةِ بصيرةٍ أو بصَرٍ.

بِالْقِسْطِ: بالعدلِ، وأصلُ (قسط) يدلُّ على مَعنيينِ متضادَّينِ: العدلِ، والجَوْرِ؛ يُقال: أَقسَط: إذا عدَل. وقَسَط: إذا جارَ وظَلَم.

شَنَآنُ: شِدَّةُ البُغض والعداوة؛ يُقال: شَنِئتُه، أي: تَقذَّرْتُه بغضًا له.

الْجَحِيمِ: النَّار، وأصْل (جحم): عِظَم الحرارة وشِدَّتها.

يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ: يمدُّوا إليكم أيديَهم بالصَّوْلةِ والضَّرب، وأصل (بسط): امتدادُ الشَّيءِ، في عَرْض أو غير عَرْض.

تفسير الآيات:

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ.

أي: واذْكروا- أيُّها المؤمنونَ- نِعمَ اللهِ تعالى عليكم، فتَذكَّروها بقُلوبِكم وألسِنَتِكم، ومنها نِعمةُ الهدايةِ للإسلامِ.

وَمِيثَاقَهُ[32] الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ.

أي: واذكُروا أيضًا- أيُّها المؤمنونَ- عَهدَه الذي عاهَدكم به بمبايعةِ نبيِّه - ﷺ - على مُتابعتِه ومُناصَرتِه ومُؤازَرَتِه، والقيامِ بدِينه، وتبليغِه.

قال تعالى: وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [الحديد: 8].

---

(32) اخْتُلِفَ في الميثاق المذكور في هذه الآية على قولين: الأول: ما وقع للنبي ﷺ في بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، وكل موطن قال الناس فيه: سمعنا وأطعنا.

والثاني: هو الميثاق المأخوذ على النَّسَم حين اسْتُخْرِجُوا من ظهر آدم.

ورجَّحَ ابنُ جرير (٨/١٢١-١٢٢)، وابنُ عطية (٣/١٢٣) القولَ الأول وقال ابن عطية: «والقول الأول أرجح، وأليقُ بنمط الكلام».

ويفهم أيضًا من كلام ابن تيمية (١/٤٥٥)، وابن كثير (٥/١٢٦) ميلهما إليه.

إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

أي: حيث التَزَمْتُم بهذا العَهْدِ بإعلانِ السَّمعِ والطَّاعة، فقلتم: سَمِعْنا ما دَعوتَنا به- أيُّها الرسولُ الكريمُ- من الآياتِ القرآنيَّةِ والكونيَّةِ، سَمْعَ فَهمٍ وإذعانٍ وانقيادٍ، وأطَعْنا ما أمَرْتَنا به، واجتَنَبْنا ما نَهيتَنا عنه.

عن جُنادَةَ بنِ أبي أُميَّةَ، قال: دَخَلْنا على عُبادةَ بنِ الصَّامتِ وهو مريضٌ، قُلنا: أصلحَك اللهُ، حَدِّثْ بحديثٍ ينفعُك اللهُ به، سَمِعْتَه مِن النبيِّ - ﷺ -، قال: ((دَعانا النبيُّ - ﷺ - فبَايَعْناه، فقال فيما أَخَذَ علينا: أنْ بايَعَنا على السَّمْعِ والطَّاعةِ، في مَنْشَطِنا[33] ومَكْرَهِنا،[34] وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرةٍ علينا،[35] وأنْ لا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، إلَّا أنْ تَرَوْا كُفرًا بَواحًا عندكم من اللهِ فيه برهانٌ)).[36]

وَاتَّقُوا اللَّهَ.

أي: وامتَثِلوا ما أَمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتَنِبوا ما نَهاكم عنه في جميعِ أَحْوالِكم.

---

(33) مَنشَطنا: المنشَط مَفعَل من النَّشاط، أي: حِين نَشاطِنا.
ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (57/5)، ((التوضيح لشرح الجامع الصحيح)) لابن الملقِّن (284/32).

(34) ومَكْرَهِنا: المَكْرَهُ: وهو ما يَكْرَهُه الإنسانُ ويشقُّ عليه؛ أراد في وقتِ الكَسَلِ والمشقَّةِ في الخروج.
ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (168/4)، ((التوضيح لشرح الجامع الصحيح)) لابن الملقِّن (284/32)، ((فتح الباري)) لابن حجر (7/13).

(35) وأَثَرَة عَلَينا: الأَثَرَة الاسمُ من: آثَر يُؤثِر إيثارًا: إذا أعطى، والاستئثار: الانفرادُ بالشيء، والمراد أنَّ طواعِيَتَهم لمن يتولَّى عليهم لا تتوقَّف على إيصالِهم حقوقَهم، بل عليهم الطاعةُ ولو منعهم حقَّهم.
ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (22/1)، ((فتح الباري)) لابن حجر (8/13).

(36) رواه البخاري (7055) واللفظ له، ومسلم (1840).

إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

أي: إنَّه يعلمُ ما يتخالَجُ في الضَّمائرِ والسَّرائرِ، وما تَنطوي عليه القُلوبُ من الأَفْكارِ والخواطِرِ؛ فاحذروا أن يَطَّلِعَ من قُلُوبِكم على أمرٍ لا يرضاه، كأنْ تُضْمِروا عدَمَ الوفاءِ بميثاقِ اللهِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، كونوا بمُقتَضَى إيمانِكم ذَوي قِيامٍ بالحقِّ للهِ تعالى وَحْدَه، لا رِياءً ولا سُمْعةً، ولا لنيلِ غَرَضٍ من أغراضِ الدُّنْيا.

شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ.

أي: وكونوا أيضًا شُهَدَاءَ بالعَدْلِ، ولا تَجُوروا في أَحْكامِكم على القَريبِ والبَعيدِ، والصَّدِيقِ والعَدُوِّ.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا.

أي: ولا يَحْمِلَنَّكم عداوةُ قومٍ وبُغضُهم على أَلَّا تَعْدِلوا في حُكْمِكم فيهم، فتَجورُوا عليهم.

اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى.

أي: عليكم بالعَدْلِ- أيُّها المؤمنونَ- مع كلِّ أحدٍ، فاستعمالُ العَدْلِ أقرَبُ إلى التَّقْوى الكاملةِ.

وَاتَّقُوا اللَّهَ.

أي: امتَثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتَنِبوا ما نهاكم عنه، ومِن ذلك القيامُ بالعَدْلِ، وتركُ الجَورِ.

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

أي: إنَّ اللهَ تعالى هو وَحْدَه العالِمُ ببواطِنِ ما تعمَلونَه- أيُّها المؤمنونَ- مِن خَيْرٍ أو شرٍّ ومُجازيكم بها. (37)

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9).

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ.

أي: وعَدَ اللهُ عزَّ وجلَّ- الذي لا يُخلِفُ الميعاد- المؤمنينَ الذين عَمِلوا الأعْمالَ الصَّالِحات مخلصين للهِ تعالى فيها، ومُتابعين شريعَتَه، وَعَدَهم بسَتْرِ ذُنُوبِهم، والتَّجاوُزِ عن مؤاخَذَتِهم بها.

---

(37) قال ابنُ تيمية (١/٤٥٦): «هذه الآية نزلت بسبب بُغْضِهم للكفار، وهو بُغْضٌ مأمور به، فإذا كان هذا قد نُهِي صاحبُه أن يَظْلِم مَن أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل، أو شبهة، أو هوًى؟! والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه، والظلم مما اتفقوا على ذمه».

وَأَجْرٌ عَظِيمٌ.

أي: ولهم ثوابٌ كبيرٌ، وعطاءٌ جزيلٌ غيرُ محدودٍ، وهو الجَنَّةُ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (10).

أي: وأمَّا الكُفَّارُ المكذِّبونَ بالأدلَّةِ الدالَّةِ على الحقِّ، فهُم أهلُ نارِ الجحيمِ الملازِمونَ لها، لا يَخرجُون منها أبَدًا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ.

أي: يا مَعْشَرَ المؤمنينَ، تذكَّروا ما أنعمَ اللهُ تعالى به عليكم بقُلوبِكم وألْسِنَتِكم؛ لأجْلِ القيامِ بواجِبِ شُكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ على ذلك.

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ.

أي: حيث أنعمَ اللهُ تعالى عليكم، بأنْ ردَّ كيدَ أعدائِكم الذين همُّوا بالبَطْشِ بكم، فصَرَفَهم وحَجزَهم عنكم، وحالَ بينهم وبين ما أرادُوه بكم؛ فلم يَسْتَطيعوا أن يَنالُوكم بسُوءٍ.

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ [الفتح: 24].

وَاتَّقُوا اللَّهَ.

أي: وافْعلوا ما أمرَكم اللهُ تعالى به، واجتَنِبوا ما نَهاكم عنه.

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.

أي: وعلى اللهِ تعالى وحْدَه دونَ غيره، فلْيعتمِدِ المؤمنونَ الَّذين آمنوا باللهِ تعالى وبكلِّ ما يَجِبُ عليهم الإيمانُ به، فليعتمدوا عليه في جَلْبِ منافِعِهم ودَفْعِ مَضَارِّهم، ممَّا يتعلَّقُ بِشُؤونِ الدُّنيا والآخِرَةِ؛ ثِقةً به عزَّ وجلَّ، وتفويضًا إليه.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (12–14)

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ **(12)**

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ **(13)**

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ **(14)**

غريب الكلمات:

نَقِيبًا: ضَمينًا وأمينًا، وشاهدًا، أو كفيلًا، وسُمِّيَ نقيبًا؛ لأنَّه يَعْلَمُ دخيلةَ أمْرِ القَوْمِ، ويَعْلَم مناقِبَهم.

وَعَزَّرْتُمُوهُمْ: أي: نَصَرْتُموهم وأَعَنْتُموهم وقوَّيتُموهم، أو عَظَّمْتُموهم، والتَّعزيرُ: النُّصْرةُ معَ التَّعظيمِ.

وَأَقْرَضْتُمُ: أي: أنْفَقْتُم في سبيلِ الله، والقَرْضُ: ما يُدفَعُ من المالِ بشَرْط ردِّ بَدلِه، وأَصْلُ القَرْضِ: القَطْعُ؛ ومنه سُمِّيَ القَرْض؛ فكأنَّه شيءٌ قد قَطَعْتَه مِن مالِكَ.

سَوَاءَ السَّبِيلِ: أي: قَصْدَ الطَّريقِ ووَسَطه، والسَّواء: الوَسَطُ، والسَّبيلُ الطَّريق.

نَقْضِهِمْ: أي: نَبْذِهم إيَّاه بعدَ القَبولِ به، وتَرْكِهم العَمَلَ به، وأَصْلُ النَّقْضِ ضِدُّ الإبرامِ: وهو فكُّ تركيبِ الشَّيءِ وردُّه إلى ما كان عليه أوَّلًا؛ فنَقْضُ البِناءِ: هَدْمُه، ونَقْضُ المبرَمِ: حلُّه.

لَعَنَّاهُمْ: طَرَدْناهم وأَبْعَدْناهم مِن رَحْمَتِنا، واللَّعْنُ: الطَّرْدُ والإبعادُ على سبيلِ السَّخطِ.

خَائِنَةٍ: خِيانةٍ، أو جماعةٍ خائنةٍ منهم، أو خائنة بمعنى خائِن، كما يقال: رَجُلٌ طاغِيَة.

نَصَارَى: جمْع نصرانٍ ونصرانة، قيل: هو منسوبٌ إلى قريةِ نَصرة أو نصرانة، وهي قريةٌ نَزَلها عيسى عليه السَّلامُ، وقيل: كلمة النَّصارى في الأصل مأخوذةٌ مِنْ قَوْلِه: مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللهِ، ثم صار لازِمًا لهم بعدَ نَسْخِ شَريعَتِهم، وأصل (نصر): يدلُّ على إتيانِ خَيْرٍ وإيتائِه.

حَظًّا: نصيبًا مقدَّرًا، وَأصل (حظ): النَّصِيبُ وَالْجَدُّ.

فَأَغْرَيْنَا: هيَّجْنَا، أو أَلْزَمْنا، مِن غَرِيَ بكذا، أي: لَهِجَ به ولَصِقَ، وأصلُ ذلك من الغِراء، وهو ما يُلْصَقُ به.

تفسير الآيات:

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12)

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

أي: قد أَخَذْنا على مَن تَقَدَّمَ مِن أَسْلافِ اليهودِ عَهدًا ثقيلًا مؤكَّدًا وغليظًا.

وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا.

أي: وأقَمْنا عليهم اثنَي عَشَرَ رئيسًا، موكولًا إليهم مُهِمَّةُ تلقِّي مبايعَةِ مَن تَحْتَهم على السَّمْعِ والطَّاعَةِ؛ وفاءً بعهد الله تعالى، ومُهِمَّةُ تَوجيهِهم وحثِّهم على القيامِ به، ومُطالَبَتِهم به.

وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ.

أي: وقال اللهُ تعالى لبني إسرائيلَ: إِنِّي مَعَكم بالحِفْظِ والعَوْنِ، والنَّصْرِ والتَّأييدِ. ثم ذَكَر اللهُ عزَّ وجلَّ ما وَاثَقَهم عليه، فقال.

لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ.

أي: واللهِ إنْ أدَّيتم– يا مَعْشَرَ بني إسرائيلَ– الصَّلاةَ على نحوٍ مُستقيمٍ ظاهرًا وباطنًا، ودَفَعْتُم الزكاةَ إلى مُستحِقِّيها كما أَمرْتُكم.

وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي.

أي: وإنْ صَدَّقْتُم رُسُلي فيما جاؤُوكُمْ به مِنَ الوَحْيِ، وأَقرَرْتُم وأَذْعَنْتُم وانْقَدْتُم لهم، دونَ تفريقٍ بينهم، ومنهم محمَّدٌ – ﷺ –.

وَعَزَّرْتُمُوهُمْ.

أي: وإنْ نَصَرْتُموهم على أَعْدائِهم.

كما قال اللهُ تعالى لنبيِّه – ﷺ –: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ [الفتح: 8–9].

وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا.

أي: وإنْ أَنْفَقْتُم في سبيلِ الله تعالى عن إخلاصٍ وصِدْقٍ؛ ابتغاءَ مَرْضاةِ الكريمِ الوهَّابِ، واحتسابًا لجزيلِ الأَجْرِ والثَّوابِ.

لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ.

أي: لَئِنْ قُمْتُم بهذه الأُمورِ التي افتَرَضْتُها عليكم، لأُغَطِّيَنَّ بعَفْوِي عنكم على ذُنوبِكم التي سَلَفَتْ منكم، ولا أُؤَاخِذُكم بها.

وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

أي: وسأُدخِلُكم يومَ القيامَةِ جنَّاتٍ تَجري فيها الأنهارُ مِن تحت أَشْجارِها وقُصُورِها.

فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ.

أي: فمَن خالَف هذا الميثاقَ المؤكَّدَ وجَحَدَه، فقد عَدَلَ عن طَريقِ الحقِّ الواضِحِ، وتاهَ عن الصِّراطِ المُستقيمِ.

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13).

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ.

أي: فبِسَبَبِ عَدَمِ وفاءِ اليَهودِ بالعَهْدِ المؤكَّدِ الذي أُخِذَ عليهم؛ طَرَدْناهم مِنْ رَحْمَتِنا، وأَبْعَدْناهم عن الحقِّ والهُدى.

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً.

أي: وبِسَبَب عَدَمِ وفائِهم بالعَهْدِ المؤَكَّدِ الذي أُخِذَ عليهم، عاقَبْناهم أيضًا بأنْ جَعَلْنا قُلُوبَهم ملازِمةً لصِفَةِ القَسْوَةِ والغِلْظَةِ، مَنزوعًا منها الخَيْرُ، وإذا ما اتَّعَظوا؛ فإنَّه لا تُجْدِي فيهم المواعِظُ، وإذا تُلِيَتْ عليهم الآياتُ؛ فإنَّهم لا يَنْتَفِعونَ بها، فلا يُرغِّبُهم تشويقٌ، ولا يُرَهِّبُهم تخويفٌ.

القراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

في قَوْلِه تعالى: قَاسِيَةً قِراءتانِ:[38]

1- قَسِيَّةً بتَشْديدِ الياءِ من غيرِ ألِفٍ، على وَزْنِ (فعيل)؛ للمبالَغةِ، وقيل: لإفادَةِ معنى التَّكريرِ، وهذا أبلغُ في الذَّمِّ والمَدْحِ من (فاعل)، وقيل: (قَسِيَّة)، أي: رَدِيئة، فتكون القُلُوبُ القَسِيَّةُ هي التي لَيْسَتْ بخالصةِ الإيمانِ، أي قد خالَطَها كُفْرٌ، فهي فاسِدَةٌ.[39]

---

(38) قال ابن عثيمين: (قَاسِيَةً اسم فاعل، و(قَسِيَّة) صفة مُشبَّهة، والصفة المشبَّهة أغلظُ من اسْمِ الفاعِلِ؛ لأنَّها وصفٌ ملازِمٌ... فالصِّفَةُ المشبَّهة ملازِمَةٌ، إذَنْ [في] قَاسِيَةً ...

قِراءتان، وإذا كان في الآية قِراءتان، فالمعنى أنَّ الأمرين كِلاهما حاصلٌ؛ فهي قسيَّةٌ وهذا وصفُها الملازِمُ، وقاسية عند وجودِ ما يُوجِبُ لِينَ القَلْبِ تقسو، والعياذ بالله؛ فهي قسيَّة وَصْفًا، قاسيةٌ فعلًا) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (189/1).

(39) قرأ بها حمزةُ، والكسائيُّ.

يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (ص: 223).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 129)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 224)، ((الكشف عن وجوه القراءات السبع)) لمكي (408/1).

((تفسير أبي حيان)) (204/4).

2- قَاسِيَةً بالأَلِف وتخفيفِ الياءِ، اسمُ فاعِلٍ مِن قَسَا يَقْسُو، والقلوبُ القاسِيَةُ هي الغَلِيظةُ البائِنَةُ عن الإيمانِ، والتي نُزِعَت منها الرَّحمةُ والرَّأفة.(40)

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.(41)

أي: إنَّ قَسْوَةَ قُلوبِهم جعَلَتْهم يُحرِّفونَ كلامَ ربِّهم في التَّوراةِ التي أَنْزَلَها على نبيِّهم مُوسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فتأوَّلوا كلامَه على غَيْرِ ما أَنْزَلَه، وحَمَلُوه على غيرِ مُرادِه، وقالوا عليه ما لم يَقُلْه تعالى وتَقدَّس.

وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ.

أي: ونَسُوا نصيبًا مِن وَحيِ الله تعالى، فضاعَ منهم، كما أنَّهم أَهمَلوا- وتَركوا عن عَمْدٍ- نصيبًا منه، فلم يَعْمَلوا به؛ رَغبةً عنه، فضيَّعوا أمْرَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

---

(40) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (ص: 223).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الكشف عن وجوه القراءات السبع)) لمكي (1/408)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (4/222).

(41) ذكر ابنُ عطية اختلاف العلماء في معنى: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾، فقال: «فقال قوم -منهم عبد الله بن عباس-: تحريفهم هو بالتأويل، ولا قدرة لهم على تبديل الألفاظ في التوراة، ولا يتمكن لهم ذلك، ويدل على ذلك بقاء آية الرجم، واحتياجهم إلى أن يضع القارئ يده عليها.

وقالت فرقة: بل حرَّفوا الكلام وبدَّلوه أيضًا، وفعلوا الأمْرَين جميعًا بحسب ما أمكنهم».

ثم رجَّح (١٣٠/٣) مستندًا إلى دلالة القرآن، والواقع القولين معًا، فقال: «وألفاظ القرآن تحتمل المعنيين، فقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٧٩] الآية تقتضي التبديل، ولا شكَّ أنهم فعلوا الأمْرَين».

وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ.

أي: ولا تزالُ- يا محمَّدُ- تكتَشِفُ وتشاهِدُ مِنَ اليَهودِ شيئًا ممَّا هم مُسْتَمِرُّونَ عليه مِنَ المكْرِ والغَدْرِ، والخيانَةِ والخَديعةِ لك ولأصحابِك، إلَّا قليلًا من اليَهودِ قد سَلِموا من ذلك؛ فهم يُوفُونَ بِمَا عُوهِدُوا عليه.

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ.

أي: فتَجَاوَزْ- يا محمَّدُ- عن أولئك القَوْمِ، ولا تُؤاخِذْهم على ذلِك، وأَعْرِضْ عنهم.

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

أي: إنَّما أَمَرْناك بالعَفْوِ والصَّفْحِ عن أولئك القَوْمِ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ عبادَه المُحسنينَ، الذين مِن إِحْسَانِهم العفوُ والصَّفحُ عمَّن أَسَاءَ إليهم.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14).

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ.

أي: وأَخَذْنا مِنَ الَّذينَ ادَّعَوْا أنَّهم نَصَارى يَنصرُون الحقَّ، ويتَّبِعُونَ المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ عليه السلامُ؛ أخَذْنا عليهم العُهُودَ والمواثيقَ على طاعَتي واتِّباعِ رُسُلِي.

فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ.

أي: فنَسُوا نَصيبًا مِن وَحْيِ اللهِ تعالى، فضاع منهم، كما أنَّهم أَهْمَلوا- وتَرَكوا عن عمدٍ- نصيبًا منه، فلمْ يعملوا به؛ رغبةً عنه، فضيَّعوا أَمْرَ اللهِ سبحانه.

فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أي: لَمَّا ترَكَ هؤلاء النَّصارى الوَفَاءَ بعهْدِي، عاقَبْناهم بأنْ جَعَلْنا بينهم الشِّقاقَ والعَدَاءَ والتباغُضَ؛ بالأَهواءِ التي حدَثتْ بينهم، واختلافِهم في قَوْلِهم في المسيحِ، فتَسَلَّط بعضُهم على بعضٍ، فكَفَّرَ بَعْضُهم بعضًا، ولعَن بَعْضُهم بعضًا، ولا يزالونَ كذلك إلى قِيامِ السَّاعَةِ.

وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.

أي: وسوف يُخْبِرُهم اللهُ عزَّ وجلَّ- عند وُرودِهم عليه في مَعادِهم- بما كانوا يَعْمَلونه في الدُّنيا مِنْ نَقْضِهم ميثاقَه، ونَكْثِهم عَهْدَه، فيُعاقِبُهم على ذلك بحَسَبِ استحقاقِهم.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيتين (15–16)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15)

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)

غريب الكلمات:

سُبُلَ السَّلَامِ: طُرُقَ السَّلامَة، أو طُرُقَ الجَنَّة، أو طُرُقَ الله، وهي دِينُه

تفسير الآيتين:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15).

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا.

أي: يا أيُّها اليهودُ والنَّصارى- يا من تَعلمونَ مِن التَّوراةِ والإنجيلِ صِفاتِ محمَّدٍ - ﷺ - وثُبوتَ بَعْثتِه- ها قد أتاكم مُحمَّدٌ - ﷺ -.

يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ.

أي: جاءَكم يُظْهِرُ كثيرًا ممَّا كنتم تَكتُمونَه عن النَّاسِ، ويُوضِّحُ ما بدَّلْتُموه وحرَّفْتُموه وأوَّلْتُموه على غيرِ وَجْهِه المُرادِ.

وممَّا كانوا يُخفونَ مِنْ أَحْكامِ التَّوراةِ: رجْمُ الزَّاني المحصَنِ، ومِن ذلك: ما أخفاه اليهودُ من صِفاتِ الرَّسولِ - ﷺ - في كتابِهم، وإنكارُهم أنَّهم يَعرفونَ أنَّه هو الرسولُ المُنتظَرُ، ومن ذلك: كتْمُ النَّصارى بِشارةَ عيسى ابنِ مريمَ لهم بمحمَّدٍ - ﷺ -.

وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.

أي: ويَترُكُ ذِكرَ كثيرٍ ممَّا كَتَمْتموه وغيَّرْتُموه ممَّا لا فائدةَ في بيانِه، ولا ذِكْرِه.

قال تعالى: قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا [الأنعام: 91].

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ.

أي: قد جاءَكم– يا أهلَ التَّوراةِ والإنجيلِ– مِنَ اللهِ تعالى القرآنُ العظيمُ، الذي نزَل على محمَّدٍ – ﷺ –: نورٌ يُستضاءُ به في ظُلماتِ الجهالة، وعَمَايَةِ الضَّلالة، ويُنيرُ لكم به معالمَ الهِدايَةِ، وهو نورٌ في قلوبِ أَهْلِه المتَّبِعِينَ له، ونورٌ في وُجُوههم، ونورٌ في قُبُورِهم، ونورٌ لهم يومَ القيامَةِ، وهو كتابٌ يُبيِّنُ للخَلْقِ كلَّ ما يحتاجونَ إليه من أُمُورِ دِينِهم ودُنياهم.

يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16).

يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ.(42)

أي: يُرشِدُ اللهُ عزَّ وجلَّ ويُسدِّدُ بهذا القرآنِ العظيمِ، مَن ابتغى بلوغَ مَرْضاةِ الله تعالى فأَقْبَل عليه، وأسلمَ وآمَنَ بالله ربًّا، وبمحمَّدٍ – ﷺ – نبيًّا، فيُرْشِدُه ويوفِّقُه إلى اتِّباعِ شرائعِ الإسلامِ، التي فيها

---

(42) ذكر ابنُ عطية (١٣٣/٣) لقوله تعالى: ﴿السَّلَامِ﴾ احتمالين: الأول: «أن يكون اسمًا من أسماء الله تبارك وتعالى».
ثم وجَّهه بقوله: «فالمعنى: طرق الله تعالى التي أمر بها عباده وشرعها لهم».
الثاني: «أن يكون مصدرًا كالسلامة».
ثم وجَّهه بقوله: «فالمعنى: طرق النجاة والسلامة من النار».

النَّجاةُ والأمنُ والسَّلامةُ في الدُّنيا والآخِرة، حتى يَستقرَّ في الجَنَّةِ؛ دارِ السَّلامِ، المنزَّهةِ عن كلّ آفةٍ، والمُؤمَّنَةِ مِن كلّ مَخافةٍ.

وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ.

أي: ويُخْرِجُ مَن اتَّبعَ رِضوانَه، وهَدَاه سُبُلَ السَّلامِ، مِن ظُلُماتِ الكُفرِ والشِّرك والمعاصِي، إلى نورِ الإيمانِ واليقينِ والطَّاعَةِ بمشيئةِ الله عزَّ وجلَّ.

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

أي: ويُرشِدُهم ويُسدِّدُهم إلى طريقٍ لا اعوجاجَ فيه، وهو دِينُ اللهِ القَويمُ.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (17–19)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ **(17)**

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ **(18)**

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ **(19)**

غريب الكلمات:

عَلَى فَتْرَةٍ: على حِين فُتورٍ من الإرسالِ، وانقطاعِ الوَحْيِ، وأصل الفُتور: السكون بعد الحِدَّة، واللِّينُ بعدَ الشِّدَّة، والضَّعْف بعد القُوَّة.

بَشِيرٍ: مُبشِّرٌ مَن أطاعَه، وأصلُ البُشرى: ظهورُ الشيءِ مع حُسنٍ وجمالٍ.

نَذِيرٍ: مُنذِرٌ مَن عصاه، وأصْلُ النِّذارةِ: التخويفُ.

تفسير الآيات:

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17).

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.

أي: أُقْسِمُ على أنَّ الذين ادَّعَوا أنَّ عيسى ابنَ مريمَ هو الله، قد كفروا.

قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا.

أي: قُلْ- يا مُحَمَّدُ- لهؤلاءِ النَّصارى الجَهَلَةِ الذين افترَوْا عليَّ، وضلُّوا عن سواءِ السَّبيلِ بقَوْلِهم: إنَّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ، قل لهم: فمَن الذي يُطيقُ إذَنْ أن يَدْفَعَ مِن أَمْرِ اللهِ جلَّ وعزَّ شيئًا، فيردَّه إذا قَضَاه؟! فلو أراد أن يُهلِكَ المسيحَ ابنَ مريمَ بإعدامِه من الأَرْضِ وإعدامِ أمِّهِ مريمَ، وإعدامِ جميعِ مَن في الأَرْضِ من الخَلْقِ جميعًا؛ فمَن الذي يَقدِرُ على مَنْعِه وصَرفِه عن ذلك؟! وإذا كان المذكورونَ لا امتناعَ عندهم يمنَعُهم لو أرادَ اللهُ أن يُهْلِكَهم، ولا قُدْرَةَ لهم على ذلك- دلَّ على بُطلان إلهيَّةِ مَن لا يمتَنِعُ من الإهلاكِ، ولا في قوَّتِه شيءٌ من الفَكاكِ.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ.

أي: وللهِ عزَّ وجلَّ وَحْدَه أمرُ تدبيرِ جميعِ ما في السَّمواتِ وما في الأَرْضِ وما بينهما وتصريفِها؛ فهُم خَلقُه، مملوكونَ له مُدَبَّرون بأمْرِه، فيُهْلِك منهم ما يشاءُ، ويُبْقِي منهم ما يَشاء، ويُوجِدُ ما أراد حتى لو كان من أمٍّ بلا أبٍ، ويُعْدِمُ ما أراد، لا يمنَعُه من ذلك مانِعٌ، ولا يَدفَعُه عنه دافعٌ؛ يُنْفِذُ فيهم حُكْمَه، ويُمْضِي فيهم قضاءَه، ولن يقدِرَ على ذلك أحدٌ غيرُ الله الواحِدِ القهَّار؛ فكيف زَعَمْتُم- أيُّها النَّصارى- أنَّ المسيحَ إلهٌ، وهو لا يُطيقُ شيئًا من ذلك؟! وكيف يكونُ المملوكُ العبدُ إلهًا معبودًا؟! فهذا من أعظمِ المُحالِ.

وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أي: إنَّ المعبودَ الحقَّ جلَّ جلالُه هو القادرُ على كلِّ شيء؛ فلا يُعْجِزُه شيءٌ أرادَه، ولا يَغْلِبه شيءٌ طلَبَه، ومن ذلك قُدْرَتُه على خَلْقِ عيسى عليه السَّلامُ من أمٍّ بلا أبٍ، وهو القادِرُ أيضًا على إهلاكِ المسيحِ وأمِّه ومن في الأرض جميعًا سبحانه وتعالى.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18).

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ.

أي: قال كلٌّ من اليهودِ والنَّصارى: نحن أبناءُ اللهِ وأحبَّاؤه، في مَودَّته وإكرامِه وإعزازِه لنا، وحُنوِّه وعَطْفِه علينا.

قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ.

أي: قلْ لهم- يا محمَّدُ- إنْ كان الأمرُ كما تدَّعونَ مِن أنَّكم أبناءُ اللهِ تعالى وأحبَّاؤه، فأخبروني- إذنْ- لِمَ أَعَدَّ اللهُ لكم نارَ جهنَّم على كُفْرِكم وافترائِكم وذُنوبِكم؛ فإنَّ الحبيبَ لا يُعذِّب حَبيبَه، وأنتم مُقرُّون أنَّه مُعذِّبُكم؟!

كما قال تعالى عنهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً [البقرة: 80].

بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ.

أي: ليس الأمرُ كما زعمتُم أنَّكم أبناءُ اللهِ وأحباؤُه، بل أنتم خَلقٌ خَلَقَكم اللهُ مثلَما خَلَقَ سائرَ بني آدمَ.

يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ.

أي: يُعامِلُكم كما يعامِلُ سائرَ البَشَرِ، فتجري عليكم بحِكْمَتِه أحكامُه الدَّائرةُ بينَ عَدْلِه وفَضْلِه، ولا تغترُّوا بتلك الأمانِيّ، وبمنازلِ أنبيائِكم وصالحي آبائِكم عندَ الباري؛ فإنَّهم إنما نالوا القُرْبَ منه بطاعتِه، واجتنابِ مَعْصِيَتِه، فجِدُّوا أنتم أيضًا في ذلك.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

أي: ولله عزَّ وجلَّ وحدَه أمْرُ تدبيرِ جميعِ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وتَصريفِه، فهم خلقُه ومُلكُه، وإليه وحده سبحانه المرجعُ والمنقلَبُ في الآخرة، فأيُّ شيءٍ خصَّكم بهذه الفضيلةِ التي تَزْعُمونها، وأنتم مِن جُملةِ المماليك، ومِن جُملةِ مَن يرجِعُ إلى اللهِ في الدَّارِ الآخِرَةِ، فيُجازيكم بأعمالِكم، واعلموا– يا مَن تدَّعونَ أنَّكم أبناءُ الله وأحبَّاؤه– أنَّه إنْ عذَّبكم بذُنُوبِكم، لم يكُن لكم منه مانِعٌ، ولا لكم عنه دافِعٌ؛ لأنه لا نسَبَ بينه وبين أحدٍ فيُحابِيَه، فاتَّقوا غَضَبَه وعِقابَه، ولا تغترُّوا بالأمانِيّ وفَضائِلِ الآباءِ.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19).

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا.

أي: يا أيُّها اليهودُ والنَّصارى– الذين أنعمَ اللهُ عليكم بالتوراةِ والإنجيلِ، وتَعلمونَ منهما بَعثةَ محمَّدٍ – ﷺ – ها قدْ أتاكم محمَّدٌ – ﷺ –.

يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ.

أي: جاءَ يُوضِّحُ لكم الحقَّ، ويُبيِّنُ كلَّ ما تحتاجون إليه من المطالِبِ الإلهيَّةِ، والأحكامِ الشَّرعيَّة، وذلك بعدَ شِدَّةِ حاجةٍ إليه، ومُضِيِّ زمنٍ طويلٍ بين إرسالِ عيسى عليه السَّلام وبَعثةِ محمَّدٍ خيرِ الأنامِ.

عن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((أنَا أَوْلَى النَّاسِ بابنِ مريمَ؛ الأنبياءُ أولادُ عَلَّاتٍ،[43] وليس بَيني وبينَه نبيٌّ)).[44]

وعن عِياضِ بنِ حِمار المُجاشعيِّ، أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ – قال ذاتَ يومٍ في خُطْبَتِه: ((ألَا إنَّ ربِّي أمَرَني أنْ أُعلِّمكم ما جَهِلتُم ممَّا عَلَّمني يَومِي هذا: كلُّ مالٍ نَحَلْتُه عبدًا حَلالٌ، وإنِّي خَلقْتُ عِبادي حُنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أَتتْهم الشياطينُ فاجْتالَتْهم[45] عن دِينِهم، وحَرَّمَتْ عليهم ما أحللْتُ لهم، وأَمَرتْهم

---

(43) أولاد عَلَّات: العَلَّات– بفتح العين، وتشديدِ اللَّام–: الضَّرائر، وأصله أنَّ مَن تزوَّج امرأةً ثم تزوَّج أخرى كأنَّه عَلَّ منها، والعَلَل الشُّرْب بعدَ الشُّرب، وأولاد العَلَّات الإخوةُ من الأبِ وأُمَّهاتهم شتَّى.
ينظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (489/6)، ((شرح النووي على مسلم)) (119/15).
(44) رواه البخاري (3442)، ومسلم (2365) واللفظ له.
(45) فاجْتَالتْهم: أي: استخفَّتْهم فجالوا معهم في الضَّلال؛ يُقال: جالَ واجتالَ: إذا ذهَب وجاءَ، ومنه الجولانُ في الحَرْبِ، واجتالَ الشَّيءَ إذا ذَهَب به وساقَه، والجائلُ: الزائلُ عن مَكانِه.
ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (317/1).

أن يُشرِكوا بي ما لم أُنزِّلْ به سُلْطانًا، وإنَّ اللهَ نظَرَ إلى أهلِ الأرضِ، فمَقَتَهم عرَبَهم وعَجَمَهم، إلَّا بَقايَا من أهلِ الكتابِ، وقال: إنَّما بَعثتُك لأَبتلِيَكَ وَأبتليَ بك، وأنزلتُ عليكَ كتابًا لا يَغسِلُه الماءُ، تَقرؤُه نائمًا ويَقْظانَ، وإنَّ اللهَ أمَرَني أنْ أُحرِّقَ قُرَيْشًا، فقلتُ: رَبِّ إذًا يَثْلَغُوا[46] رَأْسي فيَدَعُوه خُبْزَةً، قال: اسْتَخْرِجْهم كما اسْتَخرَجوكَ، واغْزُهم نُغْزِكَ،[47] وأَنفِقْ فسنُنفِقُ عليك، وابعثْ جَيشًا نَبعثْ خَمسةً مِثلَه، وقاتِلْ بمَن أطاعَكَ مَن عَصاكَ...)) الحديث.[48]

أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ.

أي: أَرْسلناه إليكم؛ قَطْعًا لعُذركم؛ كي لا تَحتجُّوا قائلين بأنَّه لم يأتِنا رسولٌ منذ عهدٍ طويلٍ، يُبشِّر بالخيرِ مَن آمَن به وأطاعَه، ويُنذرُ بالشرِّ مَن كذَّبَ به وعَصاه.

فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ.

أي: فها قد جاءَكم هذا البَشيرُ والنَّذيرُ؛ محمَّدٌ – ﷺ –، فالآن لا حُجَّةَ لكم، ولا عُذرَ بَقِيَ لديكم.

---

(46) يَثْلَغوا رأسي: أي: يَشدَخُوه ويشجُّوه، والثَّلغ: الشَّدخ، وقيل: هو ضَربُك الشيءَ الرَّطبَ بالشيءِ اليابسِ حتى يَنشدِخَ.
ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (220/1).

(47) نُغْزِكَ: نُعِنْكَ؛ مِن أغزَيتَه: إذا جهَّزْتَه للغزْوِ، وهيَّأْتَ له أسبابَه.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (198/17) ((مرقاة المفاتيح)) للمُلا الهروي (3369/8).

(48) رواه مسلم (2865).

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أي: لا يُعجِزُ اللهَ تعالى شيءٌ أرادَه، ولا يفوتُه شيءٌ طَلَبَه، ومن ذلك قُدْرَتُه على بَعْثِ الرُّسل وإنزال الكتُبِ، وإثابةِ المؤمنينَ المُطيعين، ومعاقبَةِ المكذِّبين العاصينَ.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (20–26)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25)

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)

غريب الكلمات:

الْمُقَدَّسَةَ: أي: المطهَّرةَ المُعظَّمة؛ فالتَّقديسُ: هو التَّطهيرُ والتَّعظيمُ.

وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ: ولا تَرجِعوا مُدبِرين، والردُّ: صرْفُ الشيءِ بذاتِه، أو بحالةٍ من أحوالِه؛ يُقال: رَددتُه فارتدَّ، والارتدادُ والرِّدَّة: الرُّجوعُ في الطَّريقِ الذي جاء مِنه، ومنه قيل للكافرِ بعدَ إسلامِه: مُرتدٌّ. وأصْل الدُّبُر: آخِرُ الشَّيءِ وخَلفُه، وهو ضِدُّ القُبُل.

فَتَنْقَلِبُوا: أي: فترْجِعوا، والانقلابُ: الانصرافُ؛ يُقال لِمَن كانَ على شيءٍ ثمَّ رجَع عنه: قدِ انقلَب على عَقِبه، وأَصْلُ (قلب): صرْفُ الشَّيءِ عن وجهٍ إلى وجهٍ، أو ردُّه من جِهةٍ إلى جِهةٍ.

جَبَّارِينَ: أقوياءَ عِظامَ الأجسامِ، وقيل: طوالًا؛ وُصِفوا بذلك لكثرتِهم وقُوَّتِهم، وعِظَم خَلْقِهم، وطولِ جُثَثِهم، وجبَّارون جمْع جبَّار، وهو القَهَّار، ويُطلَقُ على المتكبِّر المتعالي عن قَبولِ الحقّ، والمتسلِّطِ، والقَتَّال، وأصلُ (جبر): جِنسٌ مِن العَظمةِ والعُلوّ.

فَافْرُقْ: فافصِل، مِن فرقتُ بين الشَّيئين: إذا فَصلْتَ بينهما، سواءٌ كان ذلك بفَصْلٍ يُدركُه البصرُ، أو بفَصْلٍ تُدركه البصيرةُ، والفَرْق يُقاربُ الفَلْقَ، لكنَّ الفَلْقَ انشقاقٌ، والفَرْقَ انفصالٌ، وأصْل الفَرْق: الفصلُ والتمييزُ، والتَّزييلُ بين الشَّيئين.

الْفَاسِقِينَ: جمْعُ فاسِق، وهو الخارجُ مِنَ الشَّرعِ، والفاسقُ أعمُّ مِن الكافِر، والفُسوقُ: خروجٌ مِنَ الطَّاعةِ إلى المعصيةِ، وخروجٌ مِنَ الإيمانِ إلى الكُفرِ؛ فأصْلُ الفسوق: الخُروجُ، ومنه قولهم: فَسَقَتِ الرُّطبةُ، إذا خرَجتْ عن قِشْرها.

يَتِيهُونَ: يحارُونَ ويَضلُّونَ، ويَذهبون مُتحيّرين؛ مِن تاه يَتيه: إذا تحيَّر.

فَلَا تَأْسَ: فلا تَحْزنْ؛ يُقال: أَسِيتُ على كذا، أي: حَزِنْتُ، والأسى: الحُزن.

تفسير الآيات:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20).

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.

أي: واذْكر– يا محمَّدُ– حينَ خاطَبَ موسى عليه السَّلامُ بَني إسرائيل، أنْ اذكُروا– يا قومي– بقُلوبِكم وألسِنَتِكم نِعمَ اللهِ تعالى عليكُم؛ فإنَّ ذِكرَها داعٍ إلى القيامِ بشُكرِه عليها، وداعٍ إلى محبَّتِه عزَّ وجلَّ، ومُعِينٌ على عِبادتِه سُبحانَه وتعالى.

ثُمَّ بيَّن تعالى هذه النِّعمَ، فقال:

إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ.

أي: فاذْكُروا إنعامَ اللهِ تعالى عليكم بأنْ جعَلَ فيكم أنبياءَ يأتونَكم بوَحيِه، ويُخبرونَكم بآياتِه، كلَّما هلَكَ نبيٌّ قامَ فيكم نبيٌّ آخَرُ، مِن لَدُن إبراهيمَ عليه السَّلامُ وإلى مَن بَعدَه، حتَّى خُتِمُوا بعيسى عليه السَّلامُ.

وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا.

قيلَ المعنى: جعَل لكم مِن غيرِكم خدمًا وحَشَمًا، سَخَّرَهم ليَخدموكم.

وقيلَ المرادُ: مُلْكُ مَن مَلَك مِن بني إسرائيل؛ لأنَّ الملوكَ شرفٌ في الدُّنيا.

وقيل المعنى: صَيَّرَكم أحرارًا تَمْلِكون أمْرَكم ولا تُمْلَكونَ، بعدَ زوالِ استعبادِ عدوِّكم لكم، الذي كان يَقهَرُكم ويَستخْدِمُكم، وقيلَ غيرُ ذلِك.

وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

أي: ومَنحَكم اللهُ- يا معشرَ اليهودِ- مِن نِعَمِه الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، وكراماتِه العَلِيَّة، ما لم يُعطِهِ لأحدٍ سواكم مِن أهلِ زَمانِكم، ففُقتُموهم شرفًا وفضلًا.

كما قال سُبحانَه: وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [الجاثية: 16].

وكما قال عزَّ وجلَّ إخبارًا عن موسى لَمَّا قال قومُه: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [الأعراف: 138-140].

يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21).

يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ.(49)

أي: نادَى موسى عليه السَّلامُ بَني إسرائيل؛ أنْ جاهِدُوا– يا قومي– عَدُوَّكم حتَّى تدخُلوا الأرضَ المطهَّرةَ المعظَّمة – بيتَ المقدِس– وتُصبِحَ في مُلْكِكم؛ فقد قضَى اللهُ وقدَّرَ أنْ تكونَ لكم بعدَ أنْ تستنقِذوها مِن أيدي أعدائِكم.

وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ.

أي: ولا تَنكُلوا عن الجِهادِ، وتَرجِعوا القَهْقَرَى؛ فتَخْسَروا دُنياكم بما يَفوتُكم مِن نَصرٍ على الأعداءِ وفَتحٍ لبلادِكم، وتَخْسَروا آخرتَكم بما يفوتُكم مِن ثوابٍ، وما تَستحقُّونه مِن عقابٍ.

---

(49) اختُلِفَ في تعيين الأرض المقدسة، ورجَّح ابنُ جرير (٨/٢٨٦) أن الأرض المقدسة لا تخرج عن الأرض التي ما بَيْن الفرات وعريش مصر مستندًا إلى الإجماع، وبيّن أنه لا دليل يقطع بقولٍ من تلك الأقوال على التحديد، فقال: «القول في ذلك بأنها أرضٌ دون أرضٍ لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قَطْعُ الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون الأرض التي ما بَيْن الفرات وعريش مصر؛ لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك».

وذكر ابنُ عطية (٣/١٣٧) الأقوال في تعيين الأرض المقدسة، ثم علّق عليها بقوله: «وتظاهرت الروايات أن دمشق هي قاعدة الجبارين».

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22).

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ.

أي: قالوا- جوابًا لطَلَبِه مُنادِين له باسمِه مُجرَّدًا مِن كلِّ ما يدلُّ على تقديرِه وإجلالِه-: يا موسى، في هذه البَلدةِ التي أمَرْتَنا بدخولها، وقِتالِ أهلِها أُناسٌ عَمالقةٌ، ذَوُو خِلقةٍ ضَخمةٍ، وأجسامٍ طويلةٍ، وقُوَّةٍ شديدةٍ؛ فلن نقدِرَ على مقاوَمَتِهم، ولا طاقةَ لنا بحربِهم؛ وهذا مِن ضَعْفِ قلوبِهم، وخَوَرِ نُفوسِهم، وعدمِ اهتمامهم بأمْرِ ربِّهم ورسولِهم.

وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا.

أي: ونحن نُؤكِّد جازِمينَ لك- يا موسى- بأنَّنا مُمتنِعونَ عن الدُّخولِ إليها مُطلقًا، ما دام يَسكُنها أولئك الجبَّارونَ، ولم يَخرجُوا منها.

فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ.

أي: فأمَّا إنِ افترَضْنا خروجَهم منها، ففي هذه الحالِ يُمكِنُنا الدخولُ إليها.

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23).

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا.

أي: لَمَّا نَكَل بنو إسرائيلَ عن طاعةِ اللهِ تعالى ومُتابعةِ رسولِه موسى عليه السَّلامُ، قال لهم رجلانِ ممَّن يَخافونَ اللهَ تعالى، قدْ أنعَمَ عليهما بالتوفيقِ لطاعتِه، والخوفِ منه وحْدَه سُبحانَه، فيقولانِ كلمةَ الحقِّ دون أنْ يخافَا في اللهِ تعالى لومةَ لائمٍ، وأنعمَ عليهما أيضًا بالصَّبرِ واليقينِ، والشَّجاعةِ وحَصافةِ الرَّأيِ.

ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ.

أي: قالَا لقومِهم- استنهاضًا لِهِمَمِهم، وتشجيعًا لهم على قِتال عدوِّهم-: ليس بَينَكم وبينَ نصْرِكم عليهم إلَّا مجرَّدُ دخولِ بابِ الأرضِ المقدَّسة التي يَستوطِنونها؛ فإنَّكم إنْ فعلتُم ذلك كانتِ الغلبةُ لكم عليهم.

وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: فَوِّضُوا جميعَ أمورِكم إلى اللهِ تعالى وحْدَه، ومنها قِتالُ أعدائِكم، واعتمِدوا عليه اعتِمادًا تامًّا صادقًا، إنْ كان لديكم إيمانٌ باللهِ تعالى وبصِدقِ وعْدِه.

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24).

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا.

أي: قال اليهودُ: إنَّا نرفُض– يا موسى– رفْضًا باتًّا ودائمًا، دخولَ تِلك المدينةِ التي يَسْكُنُها الجبَّارونَ ما دامُوا باقِينَ فيها.

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ.

أي: ولكنِ امضِ– يا موسى– أنتَ وربُّك لِقتالِهم، أمَّا نحنُ فماكِثونَ في هذا المكانِ، ولنْ نَبرحَه معكَ للمضيِّ إليهم.

فلمَّا نَكَلَ بَنو إسرائيل عنِ القِتالِ غَضِبَ عليهم موسى عليه السَّلامُ، فدعا عليهم، قال اللهُ تعالى عنه:

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25).

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي.

أي: قال موسى عليه السَّلامُ: يا ربِّ، لا أقدِرُ أنْ أحمِلَ أحدًا على طاعتِكَ إلَّا نفْسي وأخِي هارونَ.

فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ.

أي: فافْصِلْ بَينَنا وبينَ هؤلاءِ القومِ الخارجينَ عن طاعتِك، بحُكمٍ وقَضاءٍ مِنك تَقضيه فينا وفيهم، فتُبعِدَهم عنَّا.

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26).

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ.

أي: فأجاب اللهُ تعالى دُعاءَ موسى عليه السَّلامُ فقال: إنَّ عُقوبتَهم أنْ يُحرَّمَ عليهم دُخولُ الأرضِ المقدَّسةِ التي نَكَصوا عن دُخولِها، مُدَّةَ أربعين سَنةً يَظلُّون فيها ضائعينَ وحائرينَ في الأرضِ، لا يَهتدُونَ إلى طريقٍ، ولا يَبقَوْنَ مُطمئنِّينَ.

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ.

أي: فلا تَحزنْ عليهم– يا موسى– ممَّا عاقبَهم اللهُ تعالى به؛ فهُم يَستحقُّونَ هذه العقوبةَ؛ لخُروجِهم عن طاعةِ ربِّهم سُبحانَه.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (27–32)

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ
لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27)
لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ
(28)
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29)
فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ
(30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا
أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32)

غريب الكلمات:

نَبَأَ: النَّبأُ: الخبرُ الذي له قَدرٌ، وفائدةٌ عظيمةٌ، ويَحصُل به علمٌ أو غَلَبَةُ ظنٍّ، وأَصْلُ (نبأ): الإتيانُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ؛ وسُمِّيَ الخبرُ نبأً؛ لانتقالِه مِن مكانٍ إلى مكانٍ.

قُرْبَانًا: ما يُتقرَّبُ به إلى اللهِ عزَّ وجلَّ مِن ذِبْحٍ أو غيرِه، وصارَ اسمًا للنَّسيكةِ التي هي الذَّبيحة، وأصلُ القُرب: خِلافُ البُعدِ.

بَسَطْتَ: مَدَدْتَ، والبَسطُ في الشيءِ: فتْحُه وتَوسعتُه، وقيل: إمدادُه في جميعِ جِهاتِه.

تَبُوءَ: أي: تَرجِعَ، أو تَنقلِبَ وتَنصرِفَ، ولا يُقال: (باء) إلَّا بشَرٍّ، ويُقال: باءَ بكذا إذا أقرَّ بِه.

بِإِثْمِي: أي: بإثمِ قتْلي، والإثمُ والآثام: اسمٌ للأفعالِ المبطِّئةِ عن الثَّوابِ، أو الذَّنبِ الذي تُستَحقُّ العقوبةُ عليه، وأصل الإثم: البُطءُ والتأخُّر.

فَطَوَّعَتْ: سهَّلَتْ وزَيَّنتْ، أو طاوَعتْ وأعانَتْ، وأجابتْ وانقادَتْ، وأصْل الطَّوعِ: الانقيادُ والإصحابُ، ويَضادُّه الكُرهُ.

يَبْحَثُ: يَحْفِرُ، والبَحْثُ: طَلَبُ الشَّيءِ في التُّرابِ، ويُطلَقُ كذلك على الكَشفِ والطَّلبِ.

يُوَارِي: يَستُر، مِن واريتُ كذا: إذا سَترتَه.

يَا وَيْلَتَا: يا فَضيحَتَاه! والويلُ: كلمةُ دُعاءٍ بالهلاكِ والعذابِ، وتُطلَق كذلِك على حُلولِ الشرِّ، وتُستعمَلُ في التَّحسُّرِ، والويلةُ: الفَضيحةُ والبليَّةُ.

سَوْءَةَ أَخِي: السَّوْءَةُ: العورةُ، وما لا يَجوزُ كَشْفُه مِن الجَسدِ، والمُرادُ هنا بَدَنُه وجيفتُه، وأَصْلُ (سوء): يدلُّ على القُبحِ.

النَّادِمِينَ: جمْعُ نادمٍ، وهو المتحسِّرُ مِن تغيُّر رأيٍ في أمْرٍ فائتٍ، مِن نَدِم: إذا تَفطَّنَ لشيءٍ قد كان.

بِالْبَيِّنَاتِ: جمْع بيِّنة، وهي: الدَّلالةُ الواضِحةُ؛ يُقال: بانَ الشيءُ وأبانَ، إذا اتَّضحَ وانكَشَف.

لَمُسْرِفُونَ: لمُفرِطون، والسَّرَف: تَجاوزُ الحدِّ في كلِّ فِعلٍ يَفعلُه الإنسانُ، وأصلُه: تَعدِّي الحدِّ، والإغفالُ للشَّيء أيضًا.

تفسير الآيات:

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27).

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ.

أي: واقْصُصْ- يا محمَّدُ- خبرَ ابنَي آدَمَ لصُلبِه على هؤلاءِ اليَهودِ وغيرِهم، بالصِّدقِ الثابِتِ الذي لا لَبْسَ فيه ولا كَذِبَ، ولا وَهْم ولا تَبديلَ، ولا زِيادةَ ولا نُقصانَ.

إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ.

أي: حين أَخرجَ كلُّ واحدٍ من الأخوينِ شيئًا؛ يُتقرَّبُ به مِنَ اللهِ تعالى، فقُبِلَ مِن أحدِهما دُونَ الآخَرِ.(50)

---

(50) اختلف المفسرون فيمن قَرَّبا هذا القربان على قولين: الأول: أنهم ابني آم لصلبه.
والثاني: أنهما رجلان من بني اسرائيل من ذرية آدم.
ورجَّح ابنُ جرير (٨/٣٢٤-٣٢٥) القول الأول دون الثاني مستندًا إلى الإجماع،
وكذا رجَّحه ابنُ عطية (٣/١٤٤)، وابنُ كثير (٥/١٧٧).

قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ.

أي: فلمَّا قُبِلَ مِن أَحدِهما قُربانُه، ولم يُقبَلْ مِن الآخِرِ، وعَلِم الذي لم يُقبَلْ مِنه بذلِك، حسَدَ أخاه، فتوعَّدَه بالقتلِ.

قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

أي: ردَّ عليه أخوه بقَولِه: إنما يُتقبَّل اللهُ العملَ ممَّن اتَّقى الله فيه؛ فعَمِلَه خالصًا لله، موافقًا لأمر الله؛ فمَن اتَّقاه في عَملٍ تقبَّله منه، فأيُّ ذَنبٍ لي يُوجِبُ لك قتْلي، إلَّا أَنِّي اتقيتُ اللهَ الذي تقواه واجبةٌ عليَّ وعليكَ؟! فكنْ أنتَ من المتقين حتَّى يُتقبَّلَ منك أيضًا.

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28).

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ.

أي: لو مَددتَ إليَّ يدَك مِن أجلِ أنْ تَقتُلَني، فلنْ أُقابِلَك على صَنيعِك الفاسدِ بمِثلِه.[51]

---

(51) اختُلِفَ في سبب قول المقتول لأخيه: ﴿ما أنا بباسط يدي ...﴾ على قولين: الأول: لأن الله حرم عليهم قتل النفس ظلمًا.
والثاني: لأنّ الله فرض عليهم ألاَّ يمتنع مَن أُريد قتله ممن أراد منه ذلك.
ورجَّح ابنُ جرير (٨/٣٣٠-٣٣٣) القول الأول.
وقال ابنُ كثير (٥/١٦٧): «ولهذا ثبت في الصحيحين، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أي: لا أُريدُ أنْ أُقدِمَ على قتْلِك؛ لأنَّني أخافُ غضَبَ وعقابَ اللهِ، الَّذي نتوجَّه إليه وحْدَه بالعِبادة، والخالِق المالِك لجميعِ الخلائقِ ومُدبِّرها سُبحانَه.

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29).

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ.(52)

أي: إِنّي أُريدُ أن ترجِعَ مُتحمِّلًا إثمَ قَتْلي، مع إثمِك الذي اكتسبتَه من مَعاصٍ سابقةٍ.

فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ.

قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنّه كان حريصًا على قتل صاحبه»».

(52) اختُلِف في تفسير هذه الآية على قولين: الأول: أنّ المعنى: إني أريد أن تبوء بإثمي من قتلك إياي، وإثمك في معصية الله وغير ذلك من معاصيك.

والثاني: أنّ المعنى: إني أريد أن تبوء بخطيئتي فتتحمل وزرها، وإثمك في قتلك إياي.

ورجَّح ابنُ جرير (٨/٣٣٢) القول مستندًا إلى الإجماع،

وذكر ابن عطية (٣/١٤٦) قولين آخرين: الأول: أن المعنى: أن تبوء بإثمي إن لو قاتلتك وقتلتك وإثم نفسك في قتالي وقتلي.

وعلَّق عليه بقوله: «وهذا هو الإثم الذي يقتضيه قول النبي ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه»، فكأن هابيل أراد: أني لست بحريص على قتلك، فالإثم الذي كان يلحقني لو كنت حريصا على قتلك أريد أن تحمله أنت مع إثمك في قتلي».

الثاني: أن المعنى: تبوء بإثمي الذي يختص لي فيما فرط لي، أي: يُؤخذ من سيئاتي فيُطرح عليك بسبب ظلمك لي، وتبوء بإثمك في قتلي، وعلَّق عليه بقوله: "وهذا تأويل يعضده قول النبي ﷺ: «يؤتى بالظالم والمظلوم يوم القيامة، فيُؤخذ من حسنات الظالم فيُزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف، فإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات المظلوم فتُطرح عليه».

أي: فتكونَ بذلِك مِن سُكَّانِ الجحيمِ الملازِمينَ لها، وهذا عقابُ كلِّ ظالمٍ.

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30).

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ.

أي: فسَوَّلتْ له نفْسُه وسَهَّلت عليه قتْلَ أخيه، الذي يَقتضي الشَّرعُ والطبعُ احترامَه والرأفةَ به، فاستجابَ لنَفْسِه الأمَّارةِ بالسُّوءِ، فقَتَلَ أخاه.

فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

فصارَ بقَتْلِ أخيه مِن الذين خابوا وخَسِروا دُنياهم وآخِرتَهم.(53)

عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ – ﷺ – قال: ((لا تُقتَلُ نفسٌ ظُلمًا، إلَّا كانَ على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفلٌ من دَمِها؛(54) لأنَّه أولُ مَن سَنَّ القَتْلَ)).(55)

---

(53) اختلف المفسرون في السبب الذي من أجله قتل القاتل أخاه، وفي صفة قتله إياه.

واختار ابنُ جرير (٨/٣٣٩–٣٤٠) أنّ القتل كان لا شكَّ فيه، وما وراء ذلك من الأقوال محتمل غير مردود، لعدم الدليل على المنع من شيء منها، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إن الله –عزَّ ذِكره– قد أخبر عن القاتل أنّه قتل أخاه، ولا خبر عندنا يقطع العذر بصفته قتله إياه، وجائز أن يكون على نحو ما قد ذكر السدي في خبره [هو القول الوارد عن عبد الله بن مسعود وناس من الصحابة وابن عباس]، وجائز أن يكون كان على ما ذكره مجاهد، والله أعلم أي ذلك كان، غير أن القتل قد كان لا شكَّ فيه».

(54) كِفلٌ من دَمِها: أي: ضِعْفٌ من إثمِها، أو: جزءٌ ونصيب من إثمها.

ينظر: ((مشارق الأنوار)) للقاضي عياض (346/1)، ((شرح النووي على مسلم)) (166/11)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: 271)، ((لسان العرب)) لابن منظور (588/11).

(55) رواه البخاري (3335) واللفظ له، ومسلم (1677).

ولَمَّا قتَل أخاه حارَ كيفَ يَصنعُ بأخيه المقتولِ، قال تعالى:

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31).

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ.

أي: فأَرسل اللهُ تعالى له غُرابًا يَحفِرُ في الأرضِ، ويُثير الترابَ – قيل: ليدفن غرابًا ميتًا –؛ ليشاهدَه القاتلُ، فيتفطَّنَ مِن خلال ذلك إلى الطريقةِ التي يَستُرُ بها بدَنَ أخيه.

قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي.

أي: فقال القاتلُ حينئذٍ لائمًا وموبِّخًا لنَفْسِه: كيف لم أقْدِرْ على مِثلِ ما فعَلَه الغرابُ فأستُرَ بذلِك بدَنَ أخِي؟!

فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ.

أي: فصارَ نادمًا على قَتْلِه لأخيه.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32).

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا.

أي: بسببِ جريرةِ قتْلِ ابنِ آدمَ أخاه ظُلمًا وعُدوانًا، حَكَمْنا على بني إسرائيلَ بأنَّه مَن تَجرَّأَ منهم فقتَل نفْسًا واحدةً بغير سببٍ مِن قِصاصٍ، أو فسادٍ في الأرضِ- فإنَّ النفسَ إذا قَتَلَت نفْسًا بغيرِ حقٍّ استحقَّتِ القتلَ بها قِصاصًا، وكذا إذا كان منها فسادٌ في الأرض كقَطعِ الطَّريقِ وإخافةِ السَّبيلِ- فهو مِثلُ مَن استحلَّ دِماءَ جميعِ النَّاسِ.

وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا.

أي: مَن حرَّم قتْلَ مَن حرَّم اللهُ تعالى قتْلَه، ولم يُقدِمْ على قتْلِه، فقدْ حَيِيَ الناسُ كلُّهم بسَلامتِهم منه.

وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ.

أي: قدْ أتَى رُسلُنا بني إسرائيل ومعهم البراهينُ الظاهرةُ، والدلائلُ الواضحةُ، التي لا يَبقَى معها حُجَّةٌ لأحدٍ.

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ.

أي: ثمَّ إنَّ كثيرًا من بني إسرائيلَ بعدَ مَجيءِ رُسلِنا إليهم بالبيِّناتِ القاطعةِ للحُجَّة، الموجِبةِ للاستقامةِ؛ عاملونَ في الأرضِ بالمعاصي؛ مخالفةً للهُدَى واتِّباعًا للهَوَى، فارْتكبوا محارمَ الله تعالى، وانتهكوا حدودَه سُبحانَه بعدَ عِلْمِهم بها.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيتين (33–34)

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33)

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)

غريب الكلمات:

يُصَلَّبُوا: يُعلَّقُوا، وتُشدَّ أَصلابُهم على خَشَبٍ للقَتْلِ.

مِنْ خِلَافٍ: أي: يُخالَفُ بين الأيدي والأرْجُلِ في القَطعِ؛ فتُقطَعُ اليدُ اليُمنَى مع الرِّجلِ اليُسرى، والعكس.

يُنْفَوْا: أي: يُطْرَدوا، وقِيل: يُسجَنُوا ويُحبَسُوا؛ لأنَّ المحبوسَ بمنزلةِ المطرودِ مِن الدُّنيا، وأَصْلُ (نفي): الطَّردُ، وتَعريةُ شيءٍ مِن شيءٍ، وإبعادُه منه.

خِزْيٌ: هوانٌ وهلاكٌ، وأصل الخِزي: الإبعادُ.

تفسير الآيتين:

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33).

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.[56]

أي: إنَّ جزاءَ مَن يُبارزونَ اللهَ تعالى ورسولَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالكُفرِ والعداوةِ، ويُضادُّونَ اللهَ ورسولَه بالاعتداءِ على أحكامِ الدِّين، فيفعلون المنهياتِ، ويَترُكون المأموراتِ على وجهِ الاستكبارِ والعِنادِ.[57]

---

(56) اختلف أهل العلم في المستحق اسم المحارب لله ورسوله الذي يلزمه حكم هذه على ثلاثة أقوال: الأول: هو اللص الذي يقطع الطريق.

والثاني: هو قاطع الطريق؛ فأما المكابر في الأمصار فليس بالمحارب الذي له حكم المحاربين.

والثالث: هو اللص المجاهر بلصوصيته، المكابر في المصر وغيره.

ورجَّح ابنُ جرير (٨/٣٧٢) القول الأخير، فقال: «لا خلاف بين الحُجَّة أنّ مَن نَصَب حربًا للمسلمين على الظُّلم منه لهم أنّه لهم محارب، ولا خلاف فيه.

فالذي وصفنا صفته لا شكَّ فيه أنّه لهم مناصبٌ حربًا ظلمًا، وإذ كان ذلك كذلك فسواء كان نَصْبُه الحربَ لهم في مصرهم وقراهم أو في سبلهم وطرقهم في أنّه لله ولرسوله محارب بحربه مَن نهاه الله ورسوله عن حربه».

(57) اختلف المفسرون في نزول هذه الآية على ثلاثة أقوال: الأول: أنها في قوم من أهل الكتاب نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ، وأفسدوا في الأرض؛ فنزلت الآية مُعَرِّفةً حكمهم.

والثاني: أنها في قوم المشركين.

والثالث: أنها في قوم من عكل وعرينة الذين ارتدوا وحاربوا الله ورسوله.

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.

أي: ويُسارِعونَ في عمَلِ المعاصي في أرضِ الله؛ مِن إخافةِ سُبلِ المؤمنين، أو سُبلِ أهلِ ذِمَّتِهم، وقَطْعِ طُرُقهم، واغتصابِ أموالِهم، وانتهاكِ حُرَمِهم.

أَنْ يُقَتَّلُوا.

أي: جزاءُ أولئك الذين يَفعلونَ ذلك؛ القتلُ.

أَوْ يُصَلَّبُوا.

أي: أو يُوضَعَ الجناةُ مَشدودينَ على خَشبةٍ ونحوها؛ قيل: لقَتْلِهم، وقيل: بلْ يُصلَبوا بعدَ قتْلِهم، وقيل غيرُ ذلك.

أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ.

أي: أو تُقطَّعَ أيديهم اليُمنَى وأَرْجُلهم اليُسرى؛ ويكونُ القطعُ في اليدِ مِن مَفْصِلِ الكفِّ مِن الذِّراع، ويكونُ القطعُ في الرِّجلِ من مَفْصِلِ القدَمِ من العَقبِ.

أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ.

ورجَّح ابنُ جرير (٨/٣٦٧) نزولها للتعريف بحكم مَن حارب الله ورسوله وأفسد بعد الذي كان مِن أمر العرنيين.

ووافقه ابنُ كثير (١٨٥/٥)، فقال: «والصحيح أنّ هذه الآية عامَّةٌ في المشركين وغيرهم مِمَّن فعل هذه الصفات».

أي: أو يُطرَدُوا مِن البلدِ الذي هُم فيه إلى بلدٍ غيرِه.

ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا.

أي: هذا الجزاءُ الذي جُوزُوا به؛ ذُلٌّ وعارٌ وفَضيحةٌ لهم في الدُّنيا.

وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

أي: ولهم مع ذلك عذابٌ أُخْرويٌّ، وهو عذابُ جهنَّمَ.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34).

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ.

أي: ما عدَا مَن رجَعُوا إلى اللهِ تعالى، وكفُّوا عن مُحاربةِ اللهِ ورسولِه وعن سَعيِهم في الأرضِ بالفسادِ، فوَضَعوا السِّلاحَ، وكفُّوا عن قَطْعِ الطَّريقِ من تِلقاءِ أنفسِهم، قبلَ أن تَقْدِروا عليهم.

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: فاعْلَموا- أيُّها المؤمنون- أنَّ اللهَ تعالى غيرُ مُؤاخِذٍ مَن تاب منهم بذُنوبه، ولكنَّه يَسترُها، ويَتجاوزُ عن المؤاخذةِ بها، في الدُّنيا والآخِرة، فيُسقِطُ عنه ما وجَب عليه من عُقوباتٍ، وهو رحيمٌ به إذْ عفَا عنه، ورفَع ما عليه مِن عقابٍ.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (35–37)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36)

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (37)

غريب الكلمات:

وَابْتَغُوا: واطْلُبوا، مِن بغَى الشَّيءَ، أي: طَلَبَه.

الْوَسِيلَةَ: القُربَة، والزُّلفى؛ يقال: تَوسَّل إليَّ بكذا، أي: تَقرَّب، وحقيقةُ الوَسيلَةِ إلى اللهِ تعالى: مُراعاةُ سَبيلِه بالعِلمِ والعِبادَةِ، وتحرِّي مكارمِ الشَّريعةِ، وأصلُ الوسيلةِ: التوصُّلُ إلى الشيءِ برغبةٍ.

لِيَفْتَدُوا بِهِ: لِيَتحامَوْا ببذلِه، والفِدَى والفِداء: حِفظُ الإنسانِ عنِ النائبةِ بما يَبذُلُه، والبَدَلُ من الشَّيءِ؛ صيانةً له، وأَصْلُ (فدي): جَعْلُ شَيءٍ مكانَ شَيءٍ حِمًى له.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(35).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ.

أي: يا مَعشرَ المؤمنين، امتثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتَنِبوا ما نَهاكم عنه، واطْلُبوا القُربَ مِنه، والحظوةَ لديه بالعملِ بما يُرضيهِ عزَّ وجلَّ.

ثمَّ خصَّ- تبارَك وتعالى- مِن العباداتِ المقرِّبةِ إليه: الجهادَ في سَبيله؛ فهو مِن أَجلِّ الطَّاعاتِ، وأفضلِ القُرُبات، ومَن قامَ به، فهو على القيامِ بغيره أَحْرَى وأَوْلى، فقال:

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

أي: وجاهِدوا- أيُّها المؤمنون- أعداءَ اللهِ تعالى؛ لإعلاءِ كلمتِه سُبحانَه بأموالِكم، وأنفسِكم، وألْسِنتِكم؛ كي تَنجُوا ممَّا تَرْهَبون، وتَظفَروا بما تَرْغَبون، وتُدرِكوا السَّعادةَ الأبديَّة في جنَّاتِه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ.

أي: لو كانَ للكُفَّارِ مُلكُ ما في الأرض كلِّها، ومَلَكوا ضِعْفَه معه.

لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أي: وأَرادوا أنْ يُقدِّموا ذلك كلَّه يومَ القِيامةِ فِديةً؛ ليتخلَّصوا بها من عذابِ الآخِرةِ.

مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أي: لَمَا تَقبَّل اللهُ تعالى منهم ذلِكَ الفِداءَ مهما بذَلُوا، وقدْ حقَّ عليهم عذابٌ مؤلِمٌ، مُوجِع.

كما قال تعالَى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [آل عمران: 91].

وعن أنسِ بنِ مَالكٍ رضِيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: ((يُجاءُ بالكافرِ يومَ القِيامةِ فيُقالُ له: أَرأيتَ لو كان لك مِلءُ الأرضِ ذهبًا، أكُنتَ تَفتدي به؟ فيقولُ: نعم، فيُقالُ له: قدْ كُنتَ سُئِلتَ ما هو أيسرُ من ذلِك!)).[58]

---

(58) رواه البخاري (6538) واللفظ له، ومسلم (2805).

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (37).

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا.

أي: يُريدُ هؤلاءِ الذين كفَروا بربِّهم أنْ يَخرُجوا مِنَ النَّارِ بعدَ دُخولِها، ولكنْ أنَّى لهم ذلِك؟! فلن يَخرجُوا منها أبدًا.

كما قال عزَّ وجلَّ: كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ [الحج: 22].

وقال تعالى: كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ [البقرة: 167].

وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ.

أي: ولهم عَذابٌ دائمٌ ثابتٌ، لا يزولُ عنهم، ولا يَنتقِلُ مطلقًا؛ فهم ماكثونَ فيه أبدًا.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (38–40)

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ **(38)**

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ **(39)**

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ **(40)**

غريب الكلمات:

نَكَالًا: أي: عُقوبةً وتنكيلًا، وعِبرةً وعِظَةً لِمَن وراءَهم، وأَصْلُ (نكل): المنعُ والامتناعُ؛ وسمِّي النَّكال؛ لأنَّه فعَلَ به ما يَمنعُه مِن المعاودةِ، ويَمنعُ غيرَه مِن إتيانِ مِثلِ صَنيعِه.

تفسير الآيات:

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38).

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا.

أي: ومَن سرَق- رجلًا كانَ أوِ امرأةً- فاقْطَعوا أيُّها النَّاسُ يدَه اليُمنى (فتُقطَعُ مِن مَفْصِلِ الكَفِّ).[59]

جَزَاءً بِمَا كَسَبَا.

أي: جاءَ هذا الحُكمُ بالقطعِ مُجازاةً للسَّارقِ والسَّارقةِ على ما اكتسَباهُ من المالِ الحرامِ.

نَكَالًا مِنَ اللَّهِ.

أي: وجاءَ الحُكمُ بالقطعِ أيضًا عقوبةً رادعةً لهما على لُصوصيَّتِهما، وزجرًا لهما عنِ اعتيادِ هذا الجُرْم، وزجرًا لغيرِهما عن الإقدامِ عليه.

---

(59) اختُلِف في السارق المعنيِّ بهذه الآية على قولين: الأول: أنّه السارق لثلاثة دراهم فصاعدًا.
والثاني: أنه السارق لربع دينار أو قيمته.
والثالث: هو سارق القليل والكثير.
ورجَّح ابنُ جرير (٨/٤٠٩) القول الثاني مستندًا إلى السنّة، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندنا قولُ مَن قال: الآية معنيٌّ بها خاصٌّ مِن السُّرّاق، وهم سُرّاق ربعِ دينار فصاعدًا، أو قيمته؛ لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «القطع في ربع دينار فصاعدًا»».

وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

أي: واللهُ عزَّ وجلَّ ذو القَهرِ والغَلبةِ، العزيزُ في انتقامِه من هذا السَّارقِ وهذه السَّارقةِ، وغيرِهما من أهلِ معاصيه، وهو الحكيمُ في حُكمِه فيهم، وقَضائِه عليهم، وفي غيرِ ذلِك مِن أوامرِه ونَواهيهِ وشَرائعِه وأقدارِه؛ فحُكمُه في الجميعِ نافذٌ، وكلُّ شيءٍ يَضعُه في موضعِه اللَّائق.

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (39).

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ.

أي: فمَن رجَعَ- بَعدَ سَرقتِه التي ظَلَمَ بها نَفْسَه وغيرَه- إلى اللهِ تعالى، وأَصلحَ عمَلَه وما أفْسدَه بظُلمِه؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَقبَلُ توبتَه.(60)

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: إنَّ اللهَ تعالى يَستُرُ ذُنوبَ عِبادِه، ويتجاوزُ عن مؤاخذتِهم بها، وهو رحيمٌ بهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُوفِّقُهم للتوبةِ، ويَقبَلُها منهم.

---

(60) ذكر ابنُ عطية (٣/١٦٤) أنّ المعنى عند جمهور أهل العلم: أنّ مَن تاب مِن السرقة، فندم على ما مضى، وأقلع في المستأنف، وأصلح بردّ الظلامة إن أمكنه ذلك، وإلا فبإنفاقها في سبيل الله، وأصلح أيضًا في سائر أعماله، وارتفع إلى فوق؛ فإن الله يتوب عليه، ويُذهب عنه حكم السرقة فيما بينه وبين الله تعالى، وهو في المشيئة مرجوٌّ له الوعد، وليس تسقط عنه التوبة حكم الدنيا مِن القطع إن اعترف أو شُهد عليه.

ثم ساق قول مجاهد، وعلّق عليه بقوله: «وهذا تشديد، وقد جعل الله للخروج من الذنب بابين: أحدهما: التوبة. والآخر: الحد».

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40).

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: أَلَمْ تعلَمْ أنَّ اللهَ تعالى هو المالكُ لجَميعِ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ، وهو المَلِكُ المتصرِّفُ فيه بما يشاءُ سُبحانَه.

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ.

أي: يُعذِّبُ مَن يشاءُ مِن خَلقِه بعَدْلِه، ويَغفرُ لِمَن يشاءُ منهم بفَضْلِه؛ فكلُّ العبادِ ملْكُه وإليه أمْرُهم، ولا نَسبَ بينه وبين أحدٍ منهم فيُحابِيَه، وإنَّما يُعذِّبُ ويغفرُ بحسَبِ ما اقتضتْه حِكمتُه سُبحانَه.

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أي: واللهُ قادِرٌ على كلِّ شيءٍ أرادَه، لا يُعجِزُه شيءٌ أبدًا، ومِن ذلك قُدرتُه على تعذيبِ مَن أراد تَعذيبَه مِن عبادِه، والغُفرانِ لمَن أرادَ أنْ يَغفرَ له منهم.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (41–43)

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43)

غريب الكلمات:

الَّذِينَ هَادُوا: أَي: اليهود، وهَادَ فلان: إذا تحرَّى طَرِيقةَ اليَهُود في الدِّين؛ قيل: أَصْلُ (يَهُود) مِن: هُدْنَا إِلَيْكَ، أي: تُبْنَا، وكان اسمَ مَدحٍ، ثم صارَ بعدَ نَسْخِ شَريعتِهم لازمًا لهم، وإنْ لم يكُنْ فيه معنَى المدحِ، وقيل: كَانَتِ اليَهُود تُنْسَب إلى يَهوذا بنِ يَعْقُوبَ.

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ: قابِلونَ ومُصغُونَ له بكثرةٍ، مبالغة مِن (سامِعون)، وأَصْلُ (سمع): إيناسُ الشيءِ بالأُذُن.

سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ: مُطيعون لَهُم، أو عُيونٌ لهم، وجواسيسُ يَتجسَّسون لهُم الأخبارَ.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ: يَقلِبونَ ويُغيِّرونَ أَلْفاظَ التوراةِ، أو حدودَ اللهِ في التوراةِ، بإزالتِها وإثباتِ غيرِها، وأصلُ التَّحريفِ والانحرافِ: إمالةُ الشَّيءِ والعدولُ به عن الاستقامةِ. والكَلِم جمع كلمة، وأَصْلُ (كلم): يدلُّ على نُطْقٍ مُفهِمٍ بالنَّظرِ إلى أحدِ مَدْلولَيهِ.

فِتْنَتَهُ: ضَلالتَه، وتُطلَقُ الفِتنةُ على الشِّرْكِ والكُفرِ، والشَّرِّ والعذابِ، وهي في الأصلِ: الاختبارُ والابتلاءُ والامتِحانُ، مأخوذة مِن الفَتْن: وهو إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ؛ لتظهَرَ جودتُه من رَداءتِه.

خِزْيٌ: هوانٌ وهلاكٌ، وأصلُ الخِزي: الإبعادُ.

لِلسُّحْتِ: السُّحتُ هو الرِّشَا، أو كَسْبُ ما لا يَحِلُّ، أو كُلُّ مالٍ حَرَامٍ يَلزَمُ آكِلَه العارُ، وأصلُ (سحت): الاستِئصالُ، ومنه سُمِّي المالُ الحرامُ سُحْتًا؛ لأنَّه لا بَقاءَ له.

بِالْقِسْطِ: بالعَدلِ، وأصْل القِسطِ يدلُّ على مَعنيين مُتضادَّينِ: العَدْلِ، والجَوْرِ؛ يُقال: أقْسَطَ: إذا عدَل، وقَسَطَ: إذا جارَ.

يَتَوَلَّوْنَ: يُعرِضونَ بعدَ الإقبالِ، فالفِعل (تولَّى) إذا عُدِّي بـ(عن) لفظًا أو تقديرًا- كما هنا- اقتضى معنى الإعراضِ، وتركِ قربِه، وأصْلُ هذه المادَّة يدلُّ على القُرْب، سواءٌ من حيثُ: المكانُ، أو النِّسبةُ، أو الدِّينُ، أو الصَّداقةُ، أو النُّصرةُ، أو الاعتقادُ، وكلُّ مَن وَلِي أمرَ آخَرَ فهو وَلِيُّه.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41).

سبَبُ النُّزولِ:

عنِ البَرَاءِ بن عازبٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: ((مُرَّ على النبيِّ - ﷺ - بيهوديٍّ محمَّمًا[61] مجلودًا، فدَعاهم - ﷺ -، فقال: هكَذا تَجِدون حدَّ الزاني في كِتابِكم؟ قالوا: نعَم، فدَعا رجلًا من عُلمائِهم، فقال: أَنشُدُك باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى، أهكذا تَجِدون حدَّ الزَّاني في كتابِكُم؟ قال: لا، ولولا أنَّك نَشدْتَني بهذا لم أُخبِرْكَ؛ نجِدُه الرَّجمَ، ولكنَّهُ كثُرَ في أشرافِنا، فكنَّا إذا أخَذْنا الشَّريفَ ترَكْناهُ، وإذا أخَذْنا الضعيفَ أقَمْنا عليهِ الحدَّ! قلنا: تعالَوْا فلنجتمعْ على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوَضيعِ، فجعَلْنا التَّحميمَ والجَلْدَ مكانَ الرَّجمِ، فقال رسولُ اللهِ - ﷺ -: اللهمَّ إنِّي أولُ مَن أحيا أمرَكَ إذْ

(61) محمَّمًا: اسمُ مَفعولٍ، أي: مُسْودَّ الوجه، من الحُمَمَة، وهي الفَحْمَة، وجمعها حُمَمٌ، والتَّحميمِ بمعنى التَّسويدِ.
ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (444/1).

أماتوهُ، فأمرَ بِهِ فرُجِمَ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إلى قولِه: إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ، يقول: ائتوا محمَّدًا – ﷺ –، فإنْ أمَرَكم بالتَّحميمِ والجَلْدِ فخُذوه، وإنْ أَفتاكم بالرَّجمِ فاحْذروا، فأنزل اللهُ تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ في الكُفَّارِ كلِّها)).[62]

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ.

أي: لا تَجعلْ– يا محمَّدُ– هؤلاءِ المنافقين، الذين يَتسابقون إلى الكُفرِ، يُدْخِلُون الحزنَ على نفسِكَ بما يَفعلونَه.[63]

---

(62) رواه مسلم (1700).

(63) اخْتُلِفَ فيمن عُني بهذه الآية على أربعة أقوال: أولها: أنها نزلت في أبي لُبابة بن عبد المنذر، بقوله لبني قريظة حين حاصرهم النبيّ ﷺ: إنما هو الذَّبح، فلا تنزلوا على حكم سعد.

ثانيها: أنها نزلت في رجل من اليهود سأل رجلًا من المسلمين يسألُ رسول الله ﷺ عن حُكمه في قتيلٍ قتله.

ثالثها: أنها نزلت في عبد الله بن صوريا، وذلك أنه ارتدَّ بعد إسلامه.

رابعها: عُني بذلك المنافقون.

ورجَّحَ ابنُ جرير (٨/٤١٨–٤١٩) القولَ الثالث

وساق ابنُ عطية (٣/١٦٨) خلاف المفسرين في سبب نزول الآية وفيمن عني بها، ثم بيَّن أنّ ترتيب معنى الآية بحسب أقوالهم يحتمل احتمالين:

الأول: أن يكون المعنى: يا أيها الرسول لا يحزنك المسارعون في الكفر من المنافقين ومن اليهود، ويكون قوله: ﴿سَمّٰعُونَ﴾ خبر ابتداء مضمر.

مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ.

أي: الَّذين أَظهَروا الإيمانَ بألْسنتِهم، وقلوبُهم في الحقيقةِ خاويةٌ منه.

كما قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ [البقرة: 8].

وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا.

أي: ولا تَجعلِ الحُزْنَ يُصيبكَ أيضًا بسببِ اليهودِ.

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ.

أي: يُكثرونَ الإصغاءَ إلى الكَذِبِ الصادرِ مِن أحبارِهم ورُؤسائِهم، فيَحْفِلون به، ويَقبلونَه منهم، ومِن ذلك: تَقليدُهم في قولهم: إنَّ محمَّدًا ليس بنبيٍّ، وفي قولهم: إنَّ حُكمَ الزاني المحصَنِ في التوراة: التَّحميمُ والجَلْدُ، وليس الرَّجمَ.

قيل: المرادُ بهؤلاء المنافقونَ مِن اليهودِ، وقيلَ: المرادُ بهم اليهودُ فقط، وقيل: المنافقونَ واليهودُ.

الثاني: أن يكون المعنى: لا يحزنك المسارعون في الكفر من اليهود ووصفهم بأنهم ﴿قالُوا آمَنّا بِأَفْواهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ إلزامًا منه ذلك لهم من حيث حرَّفوا توراتهم وبدَّلوا أحكامها، فهم يقولون بأفواههم نحن مؤمنون بالتوراة وبموسى، وقلوبهم غير مؤمنة من حيث بدلوها وجحدوا ما فيها من نبوة محمد ﷺ وغير ذلك مما كفر منهم.

ثم علَّق على الاحتمال الثاني، بقوله: «ويؤيد هذا التأويل قوله بعد هذا: ﴿وما أُولئِكَ بِالمُؤْمِنِينَ﴾، ويجيء –على هذا التأويل– قوله: ﴿ومِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾ كأنه قال:» ومنهم" لكن صرح بذكر اليهود من حيث الطائفة السماعة غير الطائفة التي تبدل التوراة على علم منها».

وذكر (٣/١٧٤) أنّ قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وعِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وما أُولَئِكَ بِالمُؤْمِنِينَ﴾ يُقوّي هذا الاحتمال أيضًا.

سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ.

أي: يَستجيبونَ لأوامرِ أقوامٍ آخَرين من الأحبارِ والرؤساءِ المُعرِضينَ عن الإتيانِ إلى مجلسِك– يا محمَّدُ.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ.

أي: إنَّ هؤلاءِ القومَ الآخَرينَ مِن أحبارِ اليهودِ الذين يَتَّبِعُهم العامَّةُ، يَصرِفونَ كلامَ اللهِ عن معناه الحقيقيِّ عمدًا، ويتأوَّلونه على غيرِ تأويلِه، وهم يَعلمون الحقَّ، فيقولون: المرادُ كذا وكذا، على خلافِ ما أرادَ اللهُ ورسولُه.

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا.

أي: إنَّ أولئك الأحبارَ الذين يَتَّبِعُهم العامَّةُ، يقولون لأتْباعِهم: تَحاكَمُوا إلى محمَّدٍ؛ فإنْ حَكَم لكم بما يُوافِقُ أهواءَكم فاقبلوا حُكمَه، وإنْ لم يحكُمْ لكم به فاحْذروا مِن قَبولِه، واتِّباعِه على ذلك؛ ومن ذلك ما يَتعلَّقُ بحَدِّ الزَّاني.

ثم يقول الله تعالى مسلِّيًا لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلم، ومخفِّفًا عنه من ثِقَلِ حُزنه على مسارعتِهم في الكُفْر:

وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.

أي: إذا حتَّم اللهُ تعالى على أَحدٍ أنَّه لا يتوبُ مِن ضلالتِه، ولا يَرجِعُ عن غيِّه ممَّن هو أهلٌ لذلك؛ فلن تملكَ له– يا محمَّدُ– مِن اللهِ تعالى استنقاذًا ممَّا هو فيه من الحَيرةِ والضَّلالةِ، فليس بمقدورِكَ هدايتُه.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ.

أي: إنَّ أولئك اليَهودَ الذين لا يَقبَلون من الحقّ إلَّا ما وافَق أهواءَهم، لم يُرِدِ الله تعالى أن يُطهِّر قلوبَهم مِن دَنسِ الكُفرِ، ووسَخِ الشِّركِ وغير ذلك، بطهارةِ الإسلامِ، ونظافةِ الإيمانِ، فيتوبوا؛ فلذلك صَدَر منهم ما صَدَر.

لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

أي: لهم في الحياةِ الدُّنيا ذلٌّ وهوانٌ، وفَضيحةٌ وعارٌ، ولهم في الآخِرة غضبُ الجبَّار، وعذابُ النَّار.

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

(42).

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ.

أي: إنَّ هؤلاء اليهودَ الذين وصفتُ لك- يا مُحمَّدُ- صِفتَهم؛ سمَّاعون للباطِلِ، مُستجيبونَ له، مِثل قولِ بعضِهم لبعضٍ: محمَّدٌ ليس بنبيٍّ، وكقول بعضهم: إنَّ حُكْمَ الزَّاني المحصَنِ في التوراة الجلدُ والتحميمُ، وغير ذلِك من الأباطيلِ.

أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ.

أي: ومِن صفاتِهم أنهم كثيرًا ما يأكلونَ المالَ الحرامَ؛ كالرَّشاوى وغيرِها.

فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ.

أي: فإنْ أتاكَ هؤلاءِ اليهودُ- يا محمَّدُ- للاحتكامِ إليك، فلك أنْ تحكُمَ بينهم إنْ شئتَ، أو تَدعَ ذلك إنْ شئتَ، فالخيارُ إليك في ذلِك؛ فهم لا يَقصِدون بتَحاكُمهم إليك اتِّباعَ الحقِّ، بل يَطلُبون ما وافَقَ أهواءَهم.(64)

(64) أفادت الآثار اختلاف أهل التأويل في حكم هذه الآية: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، هل هو ثابت اليوم؟ أو منسوخ؟ على قولين.
ورجَّحَ ابنُ جرير (٨/٤٤٤-٤٤٥ بتصرف)، وابنُ عطية (٣/١٧٢-١٧٣)، وابنُ تيمية (٢/٤٩٤) عدمَ النسخ في الآية لعدم دليل النسخ.

وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا.

أي: وإنْ تُعرِضْ- يا محمَّدُ- عن هؤلاءِ المحتكِمينَ إليك من اليهودِ، وتَخْتَرْ تَرْكَ الحُكم بينهم، فلن يَقدِروا على إلحاقِ أيِّ ضررٍ بك في أمْر دِينٍ ولا دُنيا.

وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ.

أي: وإنِ اخترتَ الحُكمَ بينهم- يا محمَّدُ- فاحكمْ بينهم بالحقِّ والعدل، وإنْ كانوا في الحقيقةِ أعداءً وظَلَمةً، خارجينَ عن طريقِ العدل.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.

أي: إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ العادلينَ في حُكْمِهم بينَ النَّاس.

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: ((إنَّ المُقسِطينَ عندَ اللهِ على منابرَ مِن نورٍ، عن يَمينِ الرَّحمنِ عزَّ وجلَّ- وكِلتَا يديهِ يمينٌ- الذين يَعدِلونَ في حُكمِهِم وأَهليهِم وما وَلُوا[65])).[66]

---

(65) وَمَا وَلُوا- بفَتْح الواو وضمِّ اللام المخفَّفة-: أي: ما كانتْ لهم عليه ولايةٌ مِن النَّظر إلى اليتيمِ، أو وقْفٍ، أو حِسبة، ونحو ذلك، ورُوي (وُلُّوا)- بضمِّ الواو وتشديد اللام-: أي ما جُعِلوا والينَ عليه.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (211/12)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (2404/6).
(66) رواه مسلم (1827).

وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43).

وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ.

أي: كيف يَجعلُك هؤلاءِ اليهودُ- يا مُحمَّدُ- حَكَمًا بينهم وهم يُكذِّبونَك، وعندهم التوراةُ التي أُنزِلَتْ على موسى، والتي فيها حُكم اللهِ على ما يُريدون، ومِن ذلك حُكمُ الله فيها على الزاني المحصَن بالرَّجْمِ؟! ومع هذا أَعْرَضوا عن حُكْمِها، وهم يَعلمون أنَّه الحقُّ، وطَلَبوا حُكمَ غيرِها؛ لاحتمالِ موافَقَتِه لأهوائِهم بظَنِّهم الفاسِدِ.

وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ.

أي: إنَّهم ليسوا مِن أهلِ الإيمانِ؛ فإنَّ ذلك ليس مِن صَنيعِهم ودأْبِهم، أمَّا هؤلاء فقد جعَلوا آلهتَهم أهواءَهم، وجَعَلوا أحكامَ الشَّرْع تابعةً لها، ولو كانوا مؤمِنينَ عاملِينَ بما يَقتضيهِ الإيمانُ لم يَعدِلوا عن حُكمِ اللهِ في التوراةِ التي بين أيديهم.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيتين (44–45)

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)

غريب الكلمات:

وَالرَّبَّانِيُّونَ: جمْع ربَّانيّ، مَنسوبٌ إلى الرَّبِّ أو إلى الرَّبَّان، وهو الجامِعُ إلى العِلمِ والفِقهِ البَصرَ بالسِّياسةِ، والتَّدبيرَ، والقيامَ بأُمورِ الرَّعيَّة وما يُصلحُهم في دُنياهم ودِينهم، ويَشمَلُ ذلك: العَالِمَ الحَكيمَ، والفَقيهَ التَّقيَّ العابِدَ، والمُعلِّمَ المُصلحَ، والذي يُربِّي الناسَ بصِغارِ العِلمِ قَبل كِبارِه، وأصل (ربّ): يدلُّ على إصلاحِ الشَّيءِ والقِيامِ عليه ولُزومِه، وضمِّ الشَّيءِ للشَّيءِ.

وَالْأَحْبَارُ: العُلماءُ، وهنا تختصُّ بعُلماءِ اليهودِ من ولدِ هارون، جمْع حَبْر، وأَصْلُ (حبر): يدلُّ على الأثرِ في حُسنٍ وبهاءٍ.

اسْتُحْفِظُوا: استُودِعوا، والحِفظُ هو التَّعاهُدُ، وقلَّةُ الغَفْلة، ويُستعملُ في كلِّ تفقُّدٍ وتعهُّدٍ ورِعايةٍ، وهو نَقيضُ النِّسيانِ.

فَلَا تَخْشَوُا: الخَشيةُ: خوفٌ يَشوبُه تَعظيمٌ، وهي: أشدُّ مِن الخوفِ وأَخصُّ مِنه؛ فهي خوفٌ مَقرونٌ بمعرفةٍ، وأَكْثرُ ما تكونُ الخَشْيةُ عن عِلمٍ بالمَخوفِ منه، وهي مأخوذةٌ مِن قولِهم: شَجرةٌ خاشيةٌ: أي يابسةٌ، وأَصْلُ (خشِي): يدلُّ على خَوفٍ وذُعْر.

قِصَاصٌ: وهو: مُقابلةُ الفِعل بمثلِه، وتتبُّع الدَّم بالقَوَدِ، كقَتْلِ القاتِل بدَلَ القَتيلِ، وأصلُ القَصِّ: تتبُّع الشَّيءِ والأَثرِ، ومنه اشتُقَّ القِصاصُ في الجِراح؛ لأنَّه يُفعَل به مِثلُ فِعلِه بالأوَّل، فكأنَّه اقتصَّ أثرَه.

كَفَّارَةٌ: الكفَّارة: ما يُغطِّي الإثمَ، وأصْل الكفر: السَّترُ والتَّغطية.

تفسير الآيتين:

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44).

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ.

أي: نحنُ نزَّلنا التوراةَ على موسى عليه السَّلامُ، وفيها ما يَهدي إلى الحقِّ، وما يُستضاءُ به في ظُلماتِ الشَّهوات والشُّبهاتِ.

يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا.

أي: يَحكُمُ بحُكمِ التوراةِ الأنبياءُ الكِرامُ سادةُ الأنامِ عليهم السَّلامُ، الذين استَسلَموا للهِ تعالى ظاهرًا وباطنًا، فيَحكُمون بها بينَ اليهودِ، لا يَخرُجون عن حُكْمِها، ولا يُبدِّلونها ولا يُحرِّفونها.

وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

أي: ويَحكُمُ بالتَّوراةِ وأحكامِها أيضًا الرَّبَّانيُّونَ (وهم العلماءُ الحكماءُ العُبَّاد، الذين يُربُّون الناسَ بصغارِ العلمِ قبلَ كبارِه)، والأحبارُ (وهم العلماءُ الكبارُ ذوو العلمِ الواسعِ، المُحْكِمُون لعِلْمِهم)؛

وذلك لأنَّ اللهَ تعالى جعَلَهم أُمَناءَ على كِتابِه؛ استودَعهم إيَّاه، وأمَرَهم أن يُظْهِروه ويَعملوا به، وأوجب عليهم حِفظَه من الزِّيادةِ والنُّقصانِ والكِتمان.

وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ.

أي: شُهداءَ على أنَّه كتابُ الله، نزَل من عندِ اللهِ، وفيه حُكمُ الله، وهم مؤتَمَنون على تبليغِه، وحِفظِه من التَّبديلِ والتَّحريفِ والكِتمان، ومِن ذلك الحُكمُ برجْمِ الزاني المُحصَن، وإثباتُ أنَّ محمدًا - ﷺ - هو الرسولُ المنتظَر المذكور في التوراةِ.

فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ.

أي: فما دُمتُم قدِ استُحْفِظْتُم على كتابِ اللهِ تعالى- يا علماءَ اليهودِ - فلا تَخشَوُا النَّاسَ في تنفيذِ حُكمي وإمضائِه عليهم؛ فإنَّهم لا يَقدِرون على ضرِّكم ولا نَفعِكم إلَّا بإذني؛ فإنَّ الحفيظَ على الشَّيءِ، الأمينَ حقَّ الأمانةِ لا يَخشى أحدًا في القيامِ بوجهِ أمانتِه، ولكنَّه يَخشى الذي استأمنَه، فلا تُخِلُّوا بها استرضاءً لأهواءِ النَّاس- ككِتمانِ حُكم الرَّجمِ، الذي حَكَم به اللهُ تعالى في التوراةِ على الزاني المحصَن وتبديلِه بغيره، وكِتمانِ صِفةِ محمَّدٍ - ﷺ - ولكنِ اخْشَوني دون كلِّ أحدٍ مِن خَلقي، واقصُروا أنظارَكم على رِضاي؛ فإنَّ النفعَ والضرَّ بيدي، وخافوا عِقابي على كِتمانكم أو تبديلِكم ما استُحْفِظْتُم مِن كتابي.

وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا.

أي: ولا تَتركوا الحُكمَ بآياتِ كتابي- أيُّها العلماءُ- فتكتموا الحقَّ، وتُظهِروا الباطلَ؛ لأجْلِ متاعٍ قليلٍ، وعِوَضٍ خسيس- كطلب بقاءِ جاهٍ وسيادةٍ، أو طَلَبِ مال يُبذَل رِشوةً.

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

أي: إنَّ الذين لم يَحكُموا بما أَنزلَ اللهُ تعالى في كِتابِه من اليهودِ وغيرِهم، فبدَّلوا حُكمَه، وكتَموا الحقَّ الذي أنزلَه في كتابِه، وحَكَموا بالباطل؛ هؤلاءِ همُ الكافرونَ.(67)

سبَبُ النُّزولِ:

عن البَراءِ بن عازبٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((مُرَّ على النبيِّ - ﷺ - بيهوديٍّ محمَّمًا مجلودًا، فدَعاهم - ﷺ -، فقال: هكذا تَجِدون حدَّ الزاني في كِتابِكم؟ قالوا: نعَم، فدَعا رجلًا من عُلمائِهم، فقال:

---

(67) اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، ﴿فأولئك هم الظالمون﴾، ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾، وقد جمع ابنُ جرير (٤٦٨/٨) أقوالهم في خمسة أقوال على النحو الآتي: الأول: عنى به اليهود الذين حَرَّفوا كتاب الله وبدَّلوا حكمه.

الثاني: عنى بالكافرين: أهل الإسلام، وبالظالمين: اليهود، وبالفاسقين: النصارى.

الثالث: عنى بذلك: كفرٌ دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسقٌ دون فسق.

الرابع: نزلت هذه الآيات في أهل الكتاب، وهي مرادٌ بها جميعُ الناس، مسلموهم وكفارهم.

الخامس: معنى ذلك: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به.

فأما الظلم والفسق فهو للمُقرّ به.

ثم رجَّحَ أنها نزلت في كُفّار أهل الكتاب، ورجَّحَ ابنُ عطية (١٨٢/٣) العموم، فقال: «أصوب ما يقال فيها أنها تعم كل مؤمن وكل كافر، فيجيء كل ذلك في الكافر على أتم وجوهه، وفي المؤمن على معنى كفر المعصية وظلمها وفسقها».

أَنشُدُك باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى، أهكذا تَجِدون حدَّ الزَّاني في كتابِكُم؟ قال: لا، ولولا أنَّك نَشدْتَني بهذا لم أُخبِرْكَ؛ نجدُه الرَّجمَ، ولكنَّهُ كثُرَ في أشرافِنا، فكنَّا إذا أخَذْنا الشَّريفَ تركْناهُ، وإذا أخَذْنا الضعيفَ أقَمْنا عليهِ الحدَّ! قلنا: تَعالَوْا فلنجتمعْ على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوَضيعِ، فجعَلْنا التَّحميمَ والجلْدَ مكانَ الرجمِ، فقال رسولُ اللهِ - ﷺ -: اللهمَّ إنِّي أولُ مَن أحيا أمْركَ إذْ أماتوهُ، فأمرَ بِهِ فرُجِمَ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إلى قولِه: إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ، يقول: ائتوا محمَّدًا - ﷺ -، فإنْ أمَرَكم بالتَّحميمِ والجلدِ فخُذوه، وإنْ أَفتاكم بالرَّجمِ فاحْذروا، فأنزل اللهُ تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ في الكُفارِ كلُّها)).[68]

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45).

(68) رواه مسلم (1700).

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ.

أي: وفرَضْنا على اليهودِ في التَّوراةِ أنَّ النَّفس تُقتلُ قِصاصًا، إذا قَتلتْ نفسًا أخرى عَمْدًا بغير حقٍّ، وكذا العينُ تُفقَأُ بالعَينِ، والأنفُ تُجدعُ بالأنفِ، والأُذنُ تُقطَعُ بالأُذنِ، والسِّنُّ تُقلَعُ بالسنِّ، ويُقتصُّ للمجروحِ ممَّن جرَحه ظلمًا وعدوانًا بِمثل الجُرحِ الذي جرَحه.

وهذا من جملة أحكامِ التوراة، التي يَحكُم بها النبيُّون الذين أَسلموا للذين هادُوا، ويَحكُم بها الربَّانيُّون والأحبارُ، ومع ذلِك يُخالِفُها اليهودُ عمدًا؛ فهُم بترْكِ حُكمِ محمَّدٍ - ﷺ - بينهم أَحْرى وأَوْلى.

فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ.

أي: فمَن تنازَلَ عمَّا وجَبَ له مِن حقٍّ بالقِصاص في النَّفْس، وما دونَها من الأطرافِ والجُروحِ فعفَا عن الجاني، تُكفَّرُ عنه ذنوبُه؛ جزاءً لعَفْوه وتنازُلِه.

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

أي: إنَّ الذين لم يَحكُموا بما أَنزلَ اللهُ تعالى في كتابِه من اليهودِ وغيرِهم، فبدَّلوا حُكمَه، وكتَموا الحقَّ الذي أَنزله في كتابِه، وحكَموا بالباطلِ في أحكامِ القِصاصِ وغيرِها، فهم ممَّن جارَ على حُكمِ اللهِ وتعدَّى حُدودَه، ووضَع فِعلَه في غَيرِ مَوضعِه الذي جعَله اللهُ تعالى له.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيتين (46–47)

وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46)

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)

غريب الكلمات:

وَقَفَّيْنَا: أي: أتْبَعْنا، وأَرْدَفْنا، مأخوذٌ من القَفا؛ يُقال: قَفَوْتُ الرجلَ: إذا سرتَ في أثَرِه.

عَلَى آثَارِهِمْ: أي: على آثارِ الأنبياءِ، وأثَرُ الشيءِ: حُصولُ ما يدلُّ على وجودِه، وأَصْلُ (أثر): رَسْمُ الشَّيءِ الباقِي.

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ: لِمَا قبْلَه، أو لِمَا كان مُتقدِّمًا له من الإنجيلِ ونحوِه.

مَوْعِظَةً: الموعظةُ والوَعْظُ: التخويفُ، أو الزجْرُ المُقترِنُ بتَخويف، أو التَذكيرُ بالخَيرِ وما يَرِقُّ له القَلبُ، وقيل: ما يَدْعُو إلى الصَّلاحِ بطريقِ الرَّغبةِ والرَّهْبةِ؛ فالوَعْظُ هو الأمرُ أو النَّهيُ المقترِنُ بما يَحمِلُ على الامتِثالِ مِن التَّرغيبِ أو التَّرهيب.

تفسير الآيتين:

وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46).

وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ.

أي: وأتْبَعْنا هؤلاءِ الأنبياءَ والمرسَلين، الذين يَحكُمون بالتَّوراة، بعيسى عليه السَّلامُ، فبعثناه عَقِبَهم نبيًّا رسولًا شاهدًا على أنَّ التوراة حقٌّ، مؤيِّدًا لها ومؤمنًا بها، وحاكِمًا بشريعتها فيما لم يَنسخْه الإنجيلُ.

وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ.

أي: وأَنزلْنا إليه كِتابَنا المسمَّى بالإنجيلِ، فيه هُدًى إلى الحقّ، ونورٌ يُستضاءُ به من ظُلماتِ الشُّبهاتِ، وعمَى الجَهالةِ.

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ.

أي: مثبِتًا وشاهدًا وموافِقًا لها، ومشتمِلًا على أحكامِها، إلَّا ما نسخَه منها.

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ.

أي: وجعَلْنا الإنجيلَ هدًى وبيانًا للحقِّ، وزاجرًا عن ارتكابِ المحارم والمآثمِ للمتَّقينَ الذين يمتَثِلون ما أمرَ اللهُ تعالى به، ويجتَنِبون ما نَهى عنه؛ فهم الذين ينتفعونَ بالهدَى، ويتَّعظونَ بالمواعظِ، ويرتدعونَ عمَّا لا ينبغي.

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47).

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ.

أي: وآتَيْنا عيسى عليه السَّلامُ الإنجيلَ لِيَحْكُمَ أهلُ ملَّته به، فلْيؤمِنوا بجميعِ ما فيه، ولْيُقيموا ما أُمِرُوا به فيه، وممَّا فيه البشارةُ ببَعثةِ محمَّدٍ - ﷺ -، والأمرُ بالإيمانِ به واتِّباعِه.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: وَلْيَحْكُمْ قراءتان:[69]

1- وَلِيَحْكُمَ بجَعْل اللامِ لامَ (كي)، فالمعنى: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أنزل الإنجيلَ؛ لكي يحكُمَ أهلُ الإنجيلِ بما فيه.[70]

2- وَلْيَحْكُمْ بِجَعْل اللامِ (لامَ الأمر)، فالمعنى: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أَمَرَ أهْلَ الإنجيلِ بالحُكْمِ بما أنزَلَه في الإنجيلِ.[71]

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

أي: إنَّ الذين لم يحكُموا بما أَنزلَ اللهُ تعالى في كِتابِه من النَّصارى وغَيرِهم، خارجونَ عن طاعةِ ربِّهم، تارِكونَ للحقِّ، مائِلونَ إلى الباطِلِ.

---

(69) قال ابنُ جرير: (والذي يَتراءَى في ذلك: أنَّهما قِراءتانِ مَشهورتانِ متقاربتَا المعنى، فبأيِّ ذلك قرأَ قارئٌ فمصيبٌ فيه الصواب؛ وذلك أنَّ اللهَ تعالى لم يُنزل كتابًا على نبيٍّ من أنبيائه إلَّا لِيَعمَلَ بما فيه أهلُه الذين أُمروا بالعملِ بما فيه، ولم يُنزله عليهم إلَّا وقد أمَرَهم بالعمل بما فيه) ((تفسير ابن جرير)) (8/484).

(70) قرأ بها حمزة.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 223).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (8/483)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 131).

(71) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 223).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 131)، ((الكشف)) لمكي (1/411).

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (48–50)

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)

وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49)

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)

غريب الكلمات:

وَمُهَيْمِنًا: أي: شاهدًا ورَقيبًا، وأَمينًا ومؤتمنًا، وحاكمًا.

أَهْوَاءَهُمْ: جمْعَ هوًى: وهو مَيلُ النَّفسِ إلى الشَّهوةِ، وأصلُه: الخلوُّ والسقوطُ، ومنه قيل للآراء الزَّائفةِ: أهواءٌ.

شِرْعَةً: أي: سُنَّةً وطَريقَةً، والشَّرْعُ: نَهجُ الطريقِ الواضِح، وكُلُّ ما شُرِع فيه مِن شَيءٍ فهو شَريعةٌ، ومِنه الشِّرْعَةُ والشَّريعةُ: وهي الطريقةُ الظاهرةُ، ومنه قيل لشريعةِ الماءِ (نهر- أو واد) شريعة؛ لأنَّها أظهرُ طُرقِه إليه، وأصل (شرع): شيءٌ يُفتَح في امتدادٍ يكونُ فيه.

مِنْهَاجًا: طَريقًا وَاضحًا، والمنهاجُ: الطَّريقُ المستمرُّ، وأصل النَّهج: الطريقُ الواضِح.

لِيَبْلُوَكُمْ: أي: لِيَختبِرَكم ولِيَمتَحِنَكم، وأَصْلُ (بلي): الامتحانُ والاختبارُ، ويكون البلاءُ في الخيرِ والشرِّ.

الْجَاهِلِيَّةِ: نِسبةً إلى الجاهِل، والمرادُ بالجاهليَّة: ما كان في الفترةِ قبلَ الإسلامِ من الجَهلِ باللهِ ورسولِه وشرائعِ الدِّين- وقد يُوصَفُ بها مَن تَشبَّه ببعضِ أحوالِها- وأَصْلُ (جهل): خِلافُ العِلمِ، ويُطلَقُ الجهلُ على: خلوِّ النَّفس من العِلم، وعلى اعتقادِ الشيءِ بخِلافِ ما هو عليه، وعلى فِعلِ الشيءِ بخِلافِ ما حقُّه أن يُفعَل، سواءٌ اعتَقَد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا.

يَبْغُونَ: أي: يَطلُبون، وأصل (بغي): طلَب الشَّيءَ.

يُوقِنُونَ: يَعلمُونَ عِلمًا مُتمكِّنًا في نفوسِهم، لا يمكن أن يَدخُلَه شكٌّ، وأصلُ اليقين: زوال الشكِّ.

تفسير الآيات:

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48).

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ.

أي: وأنزلْنا إليك – يا محمَّدُ – القرآنَ العظيمَ الذي نزولُه حقٌّ من عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ونزلَ مُتضمِّنًا للحقِّ، فأخبارُه صِدْقٌ، وأحكامُه عَدلٌ، فلا كَذِبَ فيه ولا جورَ، ولا ريبَ أنَّه مِن عندِ اللهِ تبارَك وتعالى.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ.

أي: وأنزلْناه شاهدًا للكتُبِ الإلهيَّةِ السابقةِ بصِدقها، وموافقًا لها، ومطابِقًا لأخبارِها وأصولِ شرائعها، وفي وجودِه أيضًا دَلالةٌ على صِدقها؛ لأنَّها أَخبرتْ بنُزولِ القُرآن.

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ.

أي: وأنزلْناه أمينًا على الكتُبِ الإلهيَّة السابقة، حافظًا لها، مشتملًا على ما اشتملَتْ عليه الكتُبُ السَّابقَة وزيادة، وناسخًا لها، وحاكمًا عليها كلِّها، فما شهِد له القرآنُ منها بالصِّدقِ فهو مقبولٌ، وما شهِد له بالردِّ فهو مردودٌ، قد دخلَه التحريفُ والتبديلُ، وإلَّا فلو كان من عندَ اللهِ تعالى، لم يُخالِفْه.

فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

أي: وما دام أنَّ هذه هي حالُ القرآن؛ فاحكمْ إذنْ- يا محمَّدُ- بينَ أهلِ الكتاب وغيرِهم بهذا القرآنِ العظيم، في كلِّ ما احتكموا فيه إليك.

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ.

أي: لا تَترُكَنَّ تحكيمَ كتابي بَينهم- يا محمَّدُ- متابعةً منك لأهوائِهم الفاسدةِ المعارِضةِ للحقِّ، فتحكمَ بها إرضاءً لهم بدلًا عن الحُكمِ بما أتاك من الحقِّ الذي هو أحقُّ أن يُحكمَ به.

لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا.

أي: لكلِّ أهلِ ملَّةٍ منكم- أيُّها الأممُ- جعَلْنا سبيلًا تَسلُكونَه، وسنَّةً واضحةً تتَّبعونها.(72)

---

(72) أفادت الآثارُ اختلافَ أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿لكلٍ جعلنا منكم﴾ على قولين: أحدهما: المعنيُّ بذلك: أهل الملل المختلفة، أي: أنّ الله جعل لكل مِلّةٍ شريعةً ومنهاجًا.
والآخر: المعنيُّ بذلك: أمّةَ محمد ﷺ.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ.

أي: ولو شاء اللهُ لجَمَعَكم- أيُّها النَّاسُ- على دينٍ واحدٍ، وجعل شَرائِعَكم شريعةً واحدةً؛ لا يختلِفُ متأخِّرُها عن مُتقدِّمها، ولكنَّه تعالى خالَفَ بينها؛ لِيَختبرَكم وينظرَ كيف تَعملون، فيبتلي كلَّ أُمَّةٍ بحسَب ما تَقتضيه حِكمتُه، ويُؤتي كلَّ أحدٍ ما يَليقُ به، وليحصلَ التنافسُ بين الأُمم؛ فكلُّ أمَّةٍ تحرِصُ على سَبْقِ غيرِها.

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ.

أي: فبادِروا- أيُّها الناسُ- إلى الطاعاتِ والأعمالِ الصالحاتِ، وسارِعوا إليها وَفقًا لشرعِه ونَهْجِه الذي أنزلَه في كتابِه القرآنِ.

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا.

أي: معادُكم- أيُّها الناسُ- مِن جميعِ الأُممِ، ومصيرُكم إلى الله تعالى وحْدَه يومَ القيامة.

ومعنى الكلام: قد جعلنا الكتاب الذي أنزلناه إلى نبينا محمدٍ ﷺ أيها الناس لكُلِّكم -أي: لكل مَن دخل في الإسلام، وأقرّ بمحمد ﷺ أنه لي نبيٌّ- شرعةً ومنهاجًا.

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

أي: فيُخبِرُكم بما اختلفتُم فيه من الحقِّ، وحينئذٍ يحصُلُ الفصلُ بالعدلِ، ويَتبيَّنُ الحقُّ مِن المبطِلِ، ويُثابُ أهلُ الحقِّ، ويُعاقَبُ أهلُ الباطِلِ.

وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49).

وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

أي: واحْكُمْ بينهم إذا تنازَعوا إليك- يا مُحمَّدُ- بحُكمِ الله تعالى الذي أنزلَه إليكَ في القرآنِ، ولا تَحكُمْ بما عندَهم.

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ.

أي: والْزمِ العملَ بالقرآنِ الذي أُنزِلَ إليك- يا محمَّدُ- ولا تتَّبعْ أهواءَ اليهودِ، ولا أهواءَ غيرِهم.

وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ.

أي: وإيَّاك- يا محمَّد- والاغترارَ بهؤلاء الأعداءِ من اليهودِ وغيرِهم ممَّن يَحتكِمون إليك، فكنْ على حَذرٍ من أنْ يصدُّوك عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ تعالى إليك من أحكامِ القُرآنِ، فيَحْملوك على ترْكِ العملِ بها، واتّباعِ أهوائِهم.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ.

أي: فإنْ أعرَضَ هؤلاءِ الذين يَحتكِمون إليك- يا محمَّدُ- من اليهودِ وغيرِهم عن العملِ بما حَكمتَ به عليهم، فاعلمْ أنَّهم لم يَتولَّوا عن حُكْمِك وقد قضيتَ بالحقّ إلَّا بقَدَرِ اللهِ تعالى وحِكْمَتِه فيهم؛ مِن أجلِ أنَّه يُريدُ صرْفَهم عن الهُدى، وتعجيلَ عُقوبتِهم في الدنيا؛ لِمَا صدَرَ منهم من ذُنوبٍ اقتضتْ إضلالَهم ونَكالَهم.

وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ.

أي: وإنَّ كثيرًا من الناسِ خارجونَ عن طاعةِ ربِّهم، مخالِفونَ للحقّ، فالفِسْقُ طبيعةٌ لهم وسجيَّة.

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50).

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ.

أي: أفيَطلُبُ هؤلاءِ اليهودُ وغيرُهم الأحكامَ المخالِفةَ للحقّ، المبنيَّةَ على الجهلِ والظُّلمِ، والتي وضَعَها الناسُ بلا مُستنَدٍ من شريعةِ اللهِ تعالى، بحسَب آرائِهم وأهوائِهم؛ أفيَطلُبون ذلك وعندهم كتابُ اللهِ فيه الهدى والنُّور، والعَدْلُ والحقُّ المُبِينُ الذي لا يجوزُ خِلافُه، ومع ذلِك يَعدِلون عنه؟!

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ.

أي: لا أحدَ أحسنُ وأعدلُ مِن الله تعالى في حُكمِه، ولكنَّ ذلك يَتبيَّن لِمَن أيقنَ باللهِ تعالى وأسمائِه وصِفاتِه- ومن ذلك أنَّه أحكمُ الحاكِمينَ سُبحانَه- فعَرَف الفرقَ بين حُكمِه سُبحانَه وحُكمِ الجاهليَّة، وميَّز بإيقانِه ما في حُكمِ الله عزَّ وجلَّ من الحُسن، ودَفعَه يقينُه إلى العملِ به.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (51–53)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ **(51)**

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ **(52)**

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ **(53)**

غريب الكلمات:

أَوْلِيَاءَ: أي: أصدقاءَ ونُصراءَ، والوِلايةُ النُّصرةُ، وأَصْلُ (ولي) يدلُّ على القُرْب، سواء مِن حيث: المكان، أو النِّسبة، أو الدِّين، أو الصَّداقة، أو النُّصرة، أو الاعتقاد، وكلُّ مَن وَلِي أمرَ آخَرَ فهو وَلِيُّه.

مَرَضٌ: أي: شكٌّ ونِفاقٌ، وأصلُ المرض: الفُتورُ، والخروجُ عن الاعتدالِ الخاصّ بالإنسانِ.

أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ: أي: أنْ يَدورَ علينا الدَّهرُ بمكروهٍ فلا يُبايعونا، فنحتاج إليهم وإلى مُعاونتهم، وأَصْلُ (دور) يدلُّ على إحداقِ الشيءِ بالشيءِ مِن حَواليهِ.

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: أي: اجتَهَدوا في الحَلِفِ والأَيمانِ، أو هو كنايةٌ عن أغلظِ الأيمانِ، وأَصْلُ (جهد): المشقَّة. وأَيْمَانِهِمْ: جمْع يمين: وهو القَسَمُ والحَلِف.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ إيَّاكم أنْ تُناصِروا اليهودَ والنَّصارى، أو تُعاوِنُوهم على غيرِهم.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض.

أي: إنَّ بعضَ اليهودِ أولياءُ بعضٍ، وبعضَ النصارى أولياءُ بعضٍ؛ فأهلُ كلِّ ملَّةٍ يتناصرون ويتعاضَدونَ فيما بينهم، ويكونون يدًا واحدةً على مَنْ سِواهم.

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ.

أي: ومَن يتولَّ اليهودَ والنَّصارى، ويَنصُرْهم على المسلمين، ويُظاهِرْهم عليهم؛ رغبةً فيهم، ورِضًا بدِينهم، فهو مِن أهلِ دِينِهم وملَّتهم، وحُكمُه حُكمُهم.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

أي: إنَّ مَن يتولَّاهم منكم فهو مِن جُملةِ الظالمين الذين وَضعَوا الولايَةَ في غيرِ مَوْضِعِها، ونَقَصوا أنفسَهم حقَّها بما ارتَكبوا مِن كفرٍ أو عِصيانٍ؛ فلا يُوفِّقُهم الله تعالى لاتِّباعِ الحقِّ.

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52).

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ.

أي: فترَى- يا محمَّدُ- الَّذين في قُلوبِهم شَكٌّ ونِفاقٌ يُسارعونَ في موالاةِ اليهودِ والنَّصارى، وموَدَّتِهم ومصانَعتِهم.

يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ.

أي: يقولُ هؤلاء المنافقون: إنَّما نسارعُ في موالاةِ هؤلاء اليهودِ والنصارَى؛ خوفًا من أنْ تقعَ علينا نائبةٌ من نوائبِ الدَّهرِ فنَهلِكَ- كما لو لَحِقتْنا هزيمةٌ بظَفَرِ الكفَّارِ بالمسلمين- فتكونُ لنا أيادٍ عندَهم فتَنفَعُنا؛ لذا نتَّخذُهم أصدقاءَ نُحافظُ على صداقتِهم؛ فننالُ منهم ما يُؤمِّلُ الصديقُ من صَديقِه.

فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ.

أي: فلعلَّ اللهَ أن يأتيَ بالنَّصرِ الذي يُعزُّ به الإسلامَ وأهلَه على الكفَّارِ؛ من اليهود والنصارى وغيرِهم، أو يأتيَ بأمرٍ يكونُ فيه هلاكُ المنافقينَ بقَتْلِهم، أو فَضْحِهم وبيانِ مَخازيهم.

فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ.

أي: فيُصبحَ هؤلاءِ المنافِقون الذين والَوُا اليَهودَ والنَّصارى على ما أضْمَروا في نُفوسِهم من موالاتهم نادِمين، فحين يأتي نصرُ اللهِ للمسلمين، ويُذِلُّ ويَقهرُ الكافِرينَ، لا تُجْدِي عنهم تلك الموالاةُ شيئًا، ولا تَدفعُ عنهم محذورًا، فيحصُلُ لهم من الغمِّ ما اللهُ تعالى به عليمٌ.

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53).

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ.

أي: ويقولُ المؤمنونُ متعجِّبين مِن حالِ أولئك القومِ بعدَ أن ظهَرَ ما أَضْمَروه، وتبيَّن ما أسرُّوه: أهؤلاءِ الذين حلَفوا لنا باللهِ، وأكَّدوا حَلِفَهم، وغلَّظوه بأنواعِ التأكيدات: أنَّهم معنا في الإيمانِ، وما يلزمُه من نُصرةٍ ومحبَّةٍ؟!

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ.

أي: بطَلَتْ أعمالُهم التي عَمِلوها في الدُّنيا، فلا ثوابَ لها ولا أجرَ، فخابتْ صفقَتُهم، وفاتَهم مقصودُهم، وحضرَهم الشقاءُ والعذابُ فهلَكوا.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (54–56)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55)

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)

غريب الكلمات:

يَرْتَدَّ: أي: يَرجِعْ مِن الإسلامِ إلى الكُفر، مِن الرِّدَّة والارتدادِ، والرِّدَّةُ تختصُّ بالكُفر، والارتداد يُستعمَلُ فيه وفي غَيرِه.

أَذِلَّةٍ: أي: لَيِّنين لهم، مِن قولهم: دابَّةٌ ذَلولٌ، أي: مُنقادةٌ ليِّنةٌ سهلةٌ، وأصلُ الذُّلِّ: الخُضوعُ والاستكانةُ واللِّين، وهو ضِدُّ العِز.

أَعِزَّةٍ: يُغالِبونَ الكفَّارَ ويمانعونهم، يُقال: عزَّه يعُزُّه عزًّا إذا غَلَبه؛ من العَزازِ: وهي الأرض الصُّلبة، وأصل العِزَّة: الشِّدَّة والقوَّة وأمثالهما مِن الغَلَبة والقَهر.

فَضْلُ اللهِ: عطاؤُه، وأصلُ الفضل الزِّيادة؛ وكلُّ عطيةٍ لا تَلزمُ مَن يُعطِي، يُقال لها: فضلٌ، والإفضالُ: الإحسانُ.

حِزْبَ اللهِ: أي: أنصارَ اللهِ، أو جُنْدَه وجموعَه، والحزبُ: جماعةٌ فيها غِلَظ، وقيل: الحزب: الوليُّ، واشتقاقُه من قولهم: تحزَّب القومُ، أي: اجتَمَعوا، وأَصْلُ (حزب): يدلُّ على تجمُّعِ شيءٍ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، مَن يرجِعْ منكم عن دِينِ الحقِّ إلى الباطِلِ، فيُبدلْه بدخولِه في الكفرِ كأنْ يتهوَّدَ أو يتنصَّر.

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

أي: فلن يَضرَّ اللهَ شيئًا، وإنَّما يضرُّ نفْسَه؛ فإنَّ اللهَ تعالى سيأتي بدلًا من الَّذين ارتدُّوا بقومٍ خيرٍ منهم، أكملَ منهم أوصافًا، وأحسنَ أخلاقًا، وأقوى نفوسًا؛ أجلُّ صِفاتِهم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّهم، وأنَّهم يُحبُّونَه سبحانه وتعالى، (كأبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وأصحابِه الذين قاتلوا المرتدِّين).[73]

---

(73) اختُلِفَ فيمن عُني بقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ على خمسة أقوال:

الأول: عُني به: أبو بكر وأصحابه.

الثاني: عُني به: رهط أبي موسى الأشعري من أهل اليمن.

الثالث: عُني به: أهل اليمن جميعًا.

الرابع: عُني به: الأنصار.

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

أي: ومِن صِفاتِهم أنَّهم رُحَماءُ بإخوانِهم المؤمنين، ذَوُو رأفةٍ ورفقٍ بهم، وشفقةٍ وحُنوٍّ عليهم، وتواضعٍ لهم.

كما قال سبحانه: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [الفتح: 29].

أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ.

أي: ومِن صِفاتهم أيضًا أنَّهم أشدَّاءُ على الكافرينَ، ذَوُو قَسوةٍ وغِلظةٍ عليهم، يُظْهِرون للكفَّارِ القُوَّةَ والعِزَّةَ بما هم عليه من الدِّين.

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

أي: ومِن صِفاتهم أيضًا أنَّهم يُقاتلونَ أعداءَ اللهِ تعالى بأموالِهم وأنفسِهم وأقوالِهم وأفعالِهم؛ لتكونَ كلمتُه سبحانه هي العُليا، لا يردُّهم عن هذا المقصدِ رادٌّ، ولا يَصدُّهم عن هذا المطلبِ صادٌّ، بل يُقدِّمون رِضا ربِّهم، والخوفَ مِن لومِه على لومِ المخلوقين.

الخامس: عُني به: أهل القادسية.

وقد رجّح ابنُ جرير (٨/٥٢٤) القول الثاني منها.

عن عُبادةَ بنِ الصَّامت رَضِيَ الله عنه، قال: (بايَعْنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم على السَّمْعِ والطاعةِ في المَنْشَطِ والمكْرَهِ، وألَّا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، وأن نقومَ- أو نقولَ- بالحقِّ حيثُما كُنَّا، لا نَخافُ في اللهِ لَوْمَةَ لائمٍ.(74)

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

أي: هذه الصِّفاتُ التي نَعتَهم بها اللهُ تبارك وتعالى؛ فضلٌ منه وإحسانٌ تَفضَّلَ به عليهم، وتوفيقٌ منه لهم، واللهُ يُؤتي فضلَه مَن يشاءُ مِن خلقِه، بما تَقتضيه حِكمتُه سبحانه.

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

أي: واللهُ تعالى واسعٌ في جميعِ صِفاتِه، ومِن ذلك سَعةُ عَطائِه وفَضلِه وإحسانِه، عليمٌ بمَن يستحقُّ ذلك فيُعطِيه.

---

(74) رواه البخاري (7199)، ومسلم (1840).

قال ابنُ القيِّم: (ونحن نَشهَدُ [بالله] أنَّهم وَفَّوْا بهذه البيعة، وقالوا بالحقِّ، وصدَعوا به، ولم تأخُذْهم في الله لومةُ لائم، ولم يَكتُموا شيئًا منه مخافةَ سوطٍ ولا عصًا، ولا أميرٍ ولا والٍ، كما هو معلومٌ لِمَن تأمَّله من هَدْيِهم وسِيرَتِهم؛ فقد أنكر أبو سعيدٍ على مَرْوانَ، وهو أميرٌ على المدينة، وأنكر عُبادةُ بن الصامت على معاوية، وهو خليفةٌ، وأنكر ابنُ عمر على الحَجَّاجِ مع سطوتِه وبأسِه، وأنكر على عمرو بن سعيد، وهو أميرٌ على المدينة، وهذا كثيرٌ جدًّا من إنكارِهم على الأُمَراء والولاة إذا خرَجوا عن العَدْلِ؛ لم يخافوا سوطَهم ولا عُقوبتَهم) ((إعلام الموقعين عن رب العالمين)) (110/4).

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ

(55).

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا.

أي: ليس لكم- أيُّها المؤمنون- ناصرٌ إلَّا اللهُ تعالى ورسولُه عليه الصَّلاة والسَّلام والمؤمنون، فأمَّا اليهودُ والنَّصارى، فليسوا لكم بأولياءَ ولا نُصَراءَ.

كما قال تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ [محمد: 11]. وقال سبحانه: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ [الأحزاب: 6].

وقال عزَّ وجلَّ: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [التوبة: 71].

ثمَّ ذكَر اللهُ تعالى صِفاتِ المؤمنينَ الذين تَنبغي ولايتُهم، فقال عزَّ وجلَّ:

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ.

أي: وهم الذين اتَّصفوا- بالإضافةِ إلى إيمانِهم- بأداءِ الصَّلاةِ بشُروطِها وواجباتِها وأركانِها ومستحبَّاتِها، وببَذْلِ الزكاةِ من أموالِهم، لأهلِها المستحقِّين لها.

وَهُمْ رَاكِعُونَ.

أي: ومِن صِفاتهم أيضًا: أنَّهم للهِ تعالى خاضِعون ذَليلون، وله مُنقادُون.

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56).

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا.

أي: أيُّ امرئٍ يتَّخذِ اللهَ تعالى ورسولَه وعِبادَه المؤمنينَ أولياءَ له.

فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ.

أي: فإنَّه مِن أنصارِ اللهِ تعالى، وأنصارُه هم المُفْلِحون المنصورون، الذين لهم العاقبةُ في الدُّنيا والآخِرة.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ [الصافات: 171– 173].

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (57–61)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57)

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58)

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59)

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60)

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61)

غريب الكلمات:

هُزُوًا: أي: سُخريًّا واستِهزاءً وتلعبًا.

تَنْقِمُونَ: تَكْرَهُونَ وتُنكِرون وتَعيبون، مِن نَقِمْتُ الشَّيءَ: إذا أنكرْتَه، إمَّا باللِّسانِ، وإمَّا بالعقوبةِ، وأَصْلُ (نقم): يدلُّ على إنكارِ شيءٍ وعَيبِه.

أُنَبِّئُكُمْ: أُخْبِرُكم، والنَّبأ: الخبرُ الذي له قَدرٌ، وفائدةٌ عظيمةٌ، ويحصُل به علمٌ أو غَلَبَةُ ظنٍّ، وأَصْلُ (نبأ): الإتيانُ من مكانٍ إلى مكانٍ؛ وسُمِّي الخبَرُ نبأً لانتقالِه من مكانٍ إلى مكانٍ.

مَثُوبَةً: أي: جزاءً ثابتًا، أو ثوابًا، وهو عبارةٌ عن المنفعةِ الخالِصةِ المقرونةِ بالتعظيمِ، والمثوبةُ مختصَّةٌ بالخيرِ؛ كما أنَّ العقوبةَ مختصَّةٌ بالشرِّ.

لَعَنَهُ: طرَدَه وأبْعَدَه، واللَّعْن: الطردُ والإبعادُ على سَبيل السَّخطِ.

الطَّاغُوتَ: الطَّاغُوتُ هو كُلُّ ذِي طُغْيَانٍ عَلَى اللهِ، فكلُّ مَعْبُودٍ مِن دُونِ الله إذا لم يَكُنْ كارِهًا لذلك: طاغوتٌ؛ إنسانًا كان ذلك المعبودُ، أو شَيْطانًا، أو وَثنًا، أو صَنَمًا كائنًا ما كان من شيءٍ، والمُطاعُ في معصيةِ اللَّهِ طاغوتٌ، وكذلك السَّاحِرُ والكاهِنُ، واشتقاقُه من الطُّغْيان: وهو الظُّلْم والبغْيُ، يقال طغَا فُلانٌ يَطْغَى: إذا عَدا قَدْرَه فتجاوَز حَدَّه.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ.

أي: لا تتَّخذوا- أيُّها المؤمنونَ- الَّذين يَستهزِئون بشعائرِ دِينكم، ويَرمُقونها بعينِ الاحتقارِ والسُّخرية، ويعتقدونها ضَربًا من اللَّهوِ والعبثِ في نظرِهم الفاسدِ؛ مِن اليهودِ والنَّصارى ومن سائرِ الكفَّارِ والمشركين- لا تتَّخذوا هؤلاءِ ولا هؤلاءِ أنصارًا لكم وحُلفاءَ وأعوانًا.

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: امتَثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتنِبوا ما نهاكم عنه، ومن ذلك ترْكُ اتِّخاذِ هؤلاءِ الأعداءِ لكم ولدِينِكم أولياءَ، إنْ كنتم مؤمنين حقًّا بشَرْعِ اللهِ عزَّ وجلَّ الذي اتَّخذَه هؤلاءِ هُزُوًا ولعبًا.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58).

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا.

أي: وإذا أذَّنْتُم للصَّلاة- أيُّها المؤمنون- سَخِرَ منها هؤلاءِ الكفَّارُ من اليهود والنصارى والمشركين، واعتقدوها ضَربًا من اللَّهوِ والعبثِ.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ.

أي: إنَّما تقَعُ منهم السُّخريةُ بالصَّلاةِ، ويَتَّخذونُها لَعبًا؛ لعدمِ عَقلِهم، ولجهلِهم العظيمِ بربِّهم، وبمعاني عِبادَتِه وحَقيقةِ شرائِعِه، وإلَّا فلو كانتْ لهم عقولٌ راشدةٌ لعظَّموا هذه العبادةَ العظيمةَ.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59).

أي: قلْ- يا محمَّدُ- لهؤلاءِ الذين اتَّخذوا دِينَكم هزوًا ولعبًا من أهل الكِتابِ: يا معشرَ اليهودِ والنَّصارى، ما لكم علينا مِن مطعَنٍ أو عيبٍ إلَّا إيمانُنا باللهِ تعالى وبالقرآنِ الذي أُنزِلَ إلينا وبالكتُبِ الإلهيَّة السابقةِ التي أُنْزِلَت مِن قبلنا، وإلَّا إيمانُنا بأنَّ أكثرَكم خارجونَ عن طاعةِ اللهِ العظيم، ناكِبون عن الطَّريق المستقيم؛ فهل يُعدُّ هذا عيبًا؟! وكيف تَعيبوننا بهذا الذي هو أوجبُ الواجباتِ، وأعظمُ المهمَّات؟!

كما قال تعالى: وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ [البروج: 8-9].

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60).

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ.

أي: قل- يا محمَّدُ- هل أنبِّئكم يا أهلَ الكتابِ بشرٍّ عندَ اللهِ مِن الذي نَقَمتُم فيه علينا ثوابًا وجزاءً؟

مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ.

أي: هو مَن طَردَه اللهُ تعالى وأَبْعَدَه مِن رَحمتِه، وأحلَّ عليه غضبَه.

وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ.

أي: ومَسَخَ بعضَهم إلى قردةٍ وخنازيرَ؛ خِزيًا ونكالًا في الدُّنيا.

وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ.

أي: ومَن عبَدوا الطَّاغوتَ، (وهو كلُّ ما تجاوزَ به العبدُ حدَّه مِن معبودٍ أو مَتبوعٍ أو مطاعٍ ورضِي بذلك).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسير:

في قولِه تعالى: عَبَدَ قِراءتان:

1- عَبُدَ بجَعْل عَبُد اسمًا مُفردًا ليس بجَمْع، على وزن (فَعُل)، الذي يُفيدُ معنى المبالغةِ والكثرةِ؛ فالعَبُدُ هو المبالِغُ في العُبوديةِ المنتهِي فيها؛ كما يُقال: فَطُن وحَذُر، للبليغِ في الفِطنة والحَذَر، فيكون (وَعَبُدَ) اسمًا مُضافًا إلى الطَّاغوتِ، وهو منصوبٌ عطفًا على القِرَدَةَ، وقيل: إنَّ (عَبُد) جمع (عَبْد)، أي: خَدَمًا للطَّاغوتِ.(75)

2- عَبَدَ بجَعْل عَبَدَ فعلًا ماضيًا عطفًا على لَعَنَهُ اللهُ ونُصِبَ الطَّاغُوتَ بِه.(76)

---

(75) قرأ بها حمزة.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 226).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 231)، ((الكشف)) لمكي (414/1)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (327/4) ((إبراز المعاني)) (75/2).

(76) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 226).

قال ابنُ خالويه: (الحُجَّة لِمَن فتَح الباء: أنه جعله فعلًا ماضيًا مردودًا على قوله: مَنْ لَعَنَهُ اللهُ ومَن عبدَ الطاغوتَ) ((الحجة)) (ص: 133).

وقال مكيُّ بن أبي طالبٍ: (وحُجَّة مَن فتَح الباء والتاء [أي التاء في كلمة الطاغوت] أنَّه جعَله فعلًا ماضيًا، وعطفَه على فِعلٍ ماض، وهو غضِبَ ولَعَن وجَعَل، ونصب الطاغوتَ به) ((الكشف)) (414/1).

أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

أي: هؤلاءِ الذين وصَفَهم اللهُ تعالى هُم في الحَقيقةِ شرٌّ مكانًا ومنزلةً في الدُّنيا والآخِرة عند اللهِ تعالى مِنَ المؤمنين؛ الذين نَقَمتُم عليهم إيمانَهم باللهِ وبما أُنزل إليهم وبما أُنزل مِن قَبلِهم، وهم أيضًا أشدُّ بُعدًا عن الطَّريقِ القويم.

وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61).

وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ.

أي: وإذا جاءَكم– أيُّها المؤمنون– هؤلاءِ المنافقون من اليهودِ، قالوا لكم بألسنتِهم كذبًا ومكرًا: آمنَّا، والحالُ أنَّهم دخلوا وهم مُقيمونَ على كُفْرِهم الذي تَنطوي عليه قلوبُهم.

وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ.

أي: وقدْ خرَجوا بالكُفرِ مِن عندِكم كما دَخلوا به عليكم، لم يَرجِعوا بمجيئِهم إليكم عن كُفرِهم الكامِنِ فيهم، فلم يَنتفعوا بما قد سَمِعوا منكم من العِلم، ولا نَجعتْ فيهم المواعظُ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ.

أي: واللهُ عالمٌ بما انطوتْ عليه قلوبُهم، وإنْ أظهروا للناسِ خلافَ ذلك؛ فإنَّ عالمَ الغيبِ والشَّهادة أعلمُ بهم منهم، وسيُجازيهم على ذلك.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (62-64)

وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(62)

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

(63)

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64)

غريب الكلمات:

مَغْلُولَةٌ: مُمسِكةٌ مُنقبِضةٌ عن العَطاء، وأصل الغَلَلِ: تدرُّعُ الشيءِ وتوسُّطه، ويدلُّ على تَخلُّلِ شيءٍ، وثَباتِ شيءٍ، كالشَّيءِ يُغرَز؛ يقال: غَلَل الشَّيءَ في الشَّيءِ، إذا أثْبَتَه فيه، كأنَّه غَرَزَه.

مَبْسُوطَتَانِ: أي: ممدوتانِ بالبَذلِ والإعطاءِ، وأَرزاقِ عِبادِه، وأقواتِ خَلْقِه، وأَصْلُ (بسط): يدلُّ على امتدادِ الشَّيءِ، في عَرْض أو غيرِ عَرْض.

طُغْيَانًا: أي: مُجاوزةً للحدّ في العِصيان.

الْعَدَاوَةَ: أي: اختلافَ القلوبِ والنِّيّات والتباعُد بها، والعَداوةُ أخصُّ من البَغضاء؛ لأنَّ كلَّ عَدوٍّ مبغِضٌ، وقد يُبغض مَن ليس بعدوٍّ، مأخوذةٌ مِن عَدْوَتي الجبَل، وهما طَرَفاه؛ سُمِّيَا بذلك لبُعد ما بينهما، وقيل: مِن عدا، أي: ظَلَم.

وَالْبَغْضَاءَ: أي: البُغضَ، وهو نفارُ النَّفسِ عن الشيءِ الذي تَرغَبُ عنه، وأصلُ البُغض: خلافُ الحبِّ.

تفسير الآيات:

وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

.(62)

وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ.

أي: وتُبصِر- يا محمَّدُ- كثيرًا من هؤلاءِ اليهودِ يَتسابَقون في ارتكابِ معاصِي اللهِ لا يَتحاشَوْنَ شيئًا منها، ويُبادرون إلى تعدِّي حدودِه؛ ممَّا أحلَّ لهم وحرَّمَ عليهم، ومن ذلك: الاعتداءُ على حقوقِ المخلوقين، وأكْلُ الأموالِ بالباطلِ، كالرَّشاوَى التي يتلقَّوْنَها.

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

أي: واللهِ لَبِئسَ العملُ ما كانَ هؤلاءِ اليهودُ يَعملونه في مسارعتِهم في الإثمِ والعُدوانِ، وأكْلِهم السُّحتَ.

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

.(63)

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ.

أي: هلَّا يَنهاهم الربانيُّون (وهم العلماءُ الحُكماءُ العُبَّاد الذين يُربُّون الناسَ بصغارِ العلمِ قبلَ كبارِه)، والأحبارُ (وهم العلماءُ الكبارُ ذوو العلمِ الواسِع، المحكِمُون لعِلمهم) عنِ الوقوعِ في الكذبِ والزُّورِ؛ ومِن ذلك قولُهم: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ، وأكْل المالِ الحرامِ، كالرِّشوة!.

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.

أي: واللهِ لَبِئسَ الصَّنيعُ ما كان يَصنعُه هؤلاءِ الربَّانيُّونَ والأحبارُ في ترْكِهم نهيَ كثيرٍ من اليهودِ- الذين يُسارِعونَ في الإثمِ والعدوانِ وأكْلِ السُّحتِ- عن تعاطِي ذلك.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64).

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ.

أي: وقالتِ اليهودُ- عليهم مِن الله ما يستحقُّون-: إنَّ اللهَ يَبخَلُ علينا، ويَحبِسُ عطاءَه، ويَقبِضُ خيرَه عنَّا، تعالى اللهُ عمَّا قال أعداءُ اللهِ عُلوًّا كبيرًا.

ثم قال اللهُ تعالى على وجه الإخبارِ:

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا.

أي: قُبِضتْ أيديهم عن العَطاءِ والخَيرِ والإحسانِ، وطُرِدوا من رَحمةِ اللهِ تعالى؛ وهذا الغَلُّ لأَيديهم، ولَعْنُهم؛ جَزاءٌ لهم بسَببِ ما قالوه مِن كُفرٍ وافتراءٍ على اللهِ عزَّ وجلَّ.

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.

أي: ليسَ الأمرُ كما يَزعُمون، بل يداه سبحانه مبسوطتانِ بالبذلِ والعطاء، غير مقبوضتَينِ، فهو الواسعُ الفضلِ، الجزيلُ العطاءِ، لكنَّه يُعطي ويمنعُ بحسَبِ ما تَقتضيه حِكمتُه سبحانه.

كما قال تعالى: وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [إبراهيم: 34].

وعن أبي هُرَيرَةَ رضِي اللهُ عنه، عن النَّبِيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: ((إنَّ يَمِينَ اللهِ مَلأى، لا يَغيضُها[77] نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ[78] اللَّيْلَ وَالنَّهارَ، أَرَأَيْتُم ما أَنْفَق مُنْذُ خَلَق السَّمَواتِ والأرْضَ، فإنَّه لم يَنْقُصْ ما في يمينِه)).[79]

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا.

أي: إنَّ كثيرًا من هؤلاءِ اليهودِ- يا محمَّدُ- يَزدادون بسماعِهم القرآنَ العظيمَ تجاوُزًا لحُدودِ اللهِ تعالى، وكفرًا بالحقِّ.

كما قال تعالى: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ [التوبة: 124-125].

وقال عزَّ وجلَّ: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا [الإسراء: 82].

---

(77) لا يَغيضها: أي لا يَنقُصُها.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (401/3).
(78) سحاءُ: أي: دائمةُ الصَّبِّ والهَطْل بالعَطاءِ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (345/2)، ((تاج العروس)) للزبيدي (459/6).
(79) رواه البخاري (7419)، واللفظ له، ومسلم (993).

وقال سُبحانَه: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ [فصلت: 44].

وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أي: وجعَلْنا بين اليهودِ عداءً لبعضِهم بأفعالِهم، وتباغضًا بينَهم بقلوبِهم، ولا يزالونَ كذلك إلى وقوعِ القِيامة.

كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ.

أي: كلَّما عقَدَ اليهودُ أسبابًا وأمورًا لحربِ أعدائِهم أبْطَلَها اللهُ عزَّ وجلَّ، فانحلَّ عزْمُهم، وكلَّما أقاموا حَرْبًا ردَّ اللهُ تعالى كَيدَهم في نُحورِهم، فانْخَذلوا وانْهَزموا.

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.

أي: ويُسارِعونَ ويَجتهِدون في اكتسابِ الفسادِ بالكُفرِ، وعمَلِ المعاصي، ومحاربةِ الإسلامِ وأهلِه، ونشْرِ الباطِل، وغير ذلك من الأعمالِ الفاسِدة.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.

أي: واللهُ تعالى لا يُحبُّ هؤلاءِ؛ لأنَّهم مُفسِدونَ، ولا يحبُّ كلَّ مُفسدٍ من اليهودِ وغيرِهم، بل يُبغضهم، وسيُجازِيهم على ذلك.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (65–68)

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ **(65)**

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ **(66)**

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ **(67)**

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ **(68)**

غريب الكلمات:

مُقْتَصِدَةٌ: عادلةٌ غيرُ غاليةٍ ولا مُقصِّرةٍ، أو مؤمنةٌ، والاقتصادُ: الاستواءُ في العملِ من غيرِ إفراطٍ ولا تفريطٍ.

سَاءَ: أي: قَبُحَ، والسُّوء: اسمٌ جامعٌ للآفاتِ، ثم استُعمِلَ في كلِّ ما يُستقبَحُ، وهو أيضًا كلُّ ما يغمُّ الإنسانَ.

يَعْصِمُكَ: يمنَعُك، وأصلُ العِصمةِ: المنعُ- ومنه يُقال: عَصَمَه الطَّعامُ؛ أي: منعَه من الجوعِ-، والإمساكُ والملازمةُ.

تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ: أي: تُوفُّوا حُقوقَهما بالعِلمِ والعَملِ؛ وإقَامَةُ الشيء: توفية حقِّه.

فَلَا تَأْسَ: أي: لا تَحزَنْ؛ يُقال: أسيتُ على كذا، أي: حزنتُ، فأنا آسَى أسًى، والأَسى: الحُزنُ.

تفسير الآيات:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65).

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا.

أي: ولو أنَّ أهلَ التَّوراةِ والإنجيلِ آمَنوا حقًّا بكلِّ ما يجبُ الإيمانُ به– ومِن ذلك: الإيمانُ باللهِ تعالى وبرسولِه محمَّدٍ – ﷺ – وفَعَلوا ما أمَرَهم اللهُ تعالى به، واجتَنبوا ما نَهاهم عنه.

لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ.

أي: لَمَحوْنا عنهم ذُنوبَهم، ولو كانتْ ما كانت، فغطَّيْنا عليها، ولم نَفْضَحْهم بها.

وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

أي: ولأدْخلناهم في الآخِرةِ جَنَّاتٍ تنعَمُ فيها قلوبُهم وأبدانُهم بأنواعِ النَّعيم، ممَّا تَشتهيه الأنفسُ، وتلَذُّ الأعينُ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66).

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ.

أي: ولو أنَّ اليهودَ والنَّصارى عمِلوا بما في التوراةِ والإنجيلِ، وعَمِلوا بالقُرآنِ الذي أُنزِلَ إليهم مِن اللهِ تعالى، فصدَّقوا به، وامْتَثلوا أوامرَه واجتنبوا نواهيَه.

لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ.

أي: لأدرَّ اللهُ تعالى عليهم الرِّزقَ؛ بأنْ يُرسِلَ عليهم المطرَ من السَّماءِ، ويُخرِجَ لهم الثَّمراتِ من الأرضِ.

كما قال سبحانه: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [الأعراف: 96].

وكإخبارِه تعالى عن نُوحٍ عليه السَّلام أنَّه قالَ لقومِه: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا [نوح: 10-12].

مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ.

أي: مِن أهلِ الكِتابِ جَماعةٌ قائمةٌ بالواجبِ الذي عليها، فتَمتثِلُ ما أُمِرَتْ به، وتجتنِبُ ما نُهِيَتْ عنه، بلا زيادةٍ على ذلِك ولا نَقصٍ.

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ.

أي: وكثيرٌ من اليَهودِ والنَّصارى قدْ أساؤوا العملَ.

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67).

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.

أي: يا محمَّدُ، أبلِغْ جميعَ ما أَرسلَك اللهُ تعالى به، فلا تترُكْ ولا تكتُمْ شيئًا منه.

عن عائشةَ رضِي اللهُ عنها قالت: ((مَن حدَّثك أنَّ محمدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كتَم شيئًا ممَّا أُنزِلَ عليه فقَد كذَبَ؛ واللهُ يقولُ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ الآية)).[80]

وعنها رضِي اللهُ عنها، قالت: ((ولوْ كانَ محمَّدٌ - ﷺ - كاتمًا شيئًا ممَّا أُنزِلَ عليه، لَكَتمَ هذهِ الآيَةَ: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ [الأحزاب:37])).[81]

وعن جابرٍ رضِي اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال في حَجَّة الوداع: ((تركتُ فيكم ما لَنْ تَضِلُّوا بعدَه إنِ اعتصمتُم به: كتابَ اللهِ، وأنتُم تُسألونَ عنّي، فما أنتُم قائلونَ؟ قالوا: نَشهَدُ أنَّكَ

---

(80) رواه البخاري (4612).

(81) رواه مسلم (177).

قد بلغتَ وأدَّيت ونَصحْتَ، فقال بإصبعِه السبَّابةِ، يَرفعُها إلى السَّماءِ، ويَنكتُها إلى الناسِ:[82] ((اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ! ثلاث مراتٍ)).[83]

وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ.

أي: وإنْ لم تُؤدِّ إلى الناسِ جميعَ ما أُرْسِلتَ به، فما امتثلتَ أمْرَه.

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.

أي: بلِّغْ أنتَ رِسالةَ اللهِ تعالى، واحْرِصْ على تَبليغِها، ولا يَثْنِيَنَّكَ عن ذلِك خوفٌ من المخلوقِينَ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يَحفَظُك، ويمنعُ أعداءَك مِن أن ينالوكَ بسوءٍ، أو أن يَضرُّوك بشيءٍ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.

أي: بلِّغْ أنتَ؛ فما عليكَ إلَّا البَلاغ، واللهُ تعالى لا يُوفِّقُ للحقِّ الكافرينَ المصرِّين على كُفرِهم؛ بسببِ كُفرِهم، وإعراضِهم عنِ الهُدى والحقِّ.

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ *وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس: 96– 97].

---

(82) يَنْكُتُها إلى النَّاسِ: أي: يشيرُ بها إليهم، كالذي يَضرِبُ بها الأرضَ.
يُنظر: ((مِرقاة المفاتيح)) للملا الهروي (5/1773).

(83) رواه مسلم (1218).

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68).

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ.

أي: قل يا مُحمَّدُ: يا أهلَ التَّوراةِ والإنجيلِ، لستُم على شيءٍ ممَّا تَدَّعون أنَّكم عليه من الدِّين، إلى أنْ تُؤمِنوا حقًّا- معشرَ اليهودِ- بالتوراةِ، ومَعشرَ النَّصارى بالإنجيلِ، وتَعمَلوا بما فيهما- ومِن ذلك اتِّباعُ محمَّدٍ - ﷺ - وحتى تُؤمنوا بالقرآنِ أيضًا وتعمَلوا به؛ فقد جاءَ مِن ربِّكم الذي أنعمَ عليكم بإنزالِه؛ فالواجبُ عليكم أن تَقومُوا بشُكرِ اللهِ تعالى على ذلِك بأنْ تُؤمِنوا بالقرآنِ وتَتَّبِعوه.

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا.

أي: إنَّ كثيرًا مِن هؤلاءِ اليَهودِ والنَّصارى- يا مُحمَّدُ- يَزدادونَ بسَماعِهم القرآنَ العظيمَ تجاوزًا لحدودِ اللهِ تعالى، وكُفرًا بالحقّ.

كما قال تعالى: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ [التوبة: 124، 125].

وقال عزَّ وجلَّ: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا [الإسراء: 82].

وقال سبحانه: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ [فصلت: 44].

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

أي: فلا تحزنْ– يا محمَّدُ– على هؤلاءِ الكفَّارِ مِن اليهودِ والنَّصارى الذين كذَّبوك، وردُّوا رِسالتَك، وإنَّما أدِّ ما عليك، وبلِّغِ الرسالةَ.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (69–71)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ **(69)**

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ **(70)**

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ **(71)**

غريب الكلمات:

الصَّابِئُونَ: هم قومٌ لا دِينَ لهم، وإنَّما بَقُوا على فِطرتِهم، يَقولون: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وليس لهم دِينٌ مُقرَّرٌ لهم يتَّبعونه، وقِيل: هم قومٌ يَعبُدون المَلائكةَ، وقيل: هم طائفةٌ مِن أهلِ الكِتابِ، والصَّابِئون جَمْعُ صابِئ، وهو الخارجُ من دِينِه إلى دِينٍ آخرَ، وأصلُه: الخُروجُ؛ يُقال: صَبأتِ النُّجُومُ، إذا خرجتْ من مطالِعِها.

تَهْوَى: تميلُ، والهوى: ميلُ النَّفسِ إلى الشَّهوةِ، وأصلُه: الخلوُّ والسُّقوط، ومنه قِيلَ للآراء الزَّائِفة: أهواءٌ.

فِتْنَةٌ: أي: شرٌّ وعذابٌ، وتُطلَق الفِتنةُ أيضًا على الضَّلال والشِّرْك والكُفر، والفِتنةُ في الأصلِ: الاختِبارُ والابتلاءُ والامتِحانُ، مأخوذةٌ من الفَتْن: وهو إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ؛ لتظهَرَ جودتُه مِن رَداءتِه.

فَعَمُوا: أي: لم يَعْمَلوا بما سَمِعوا، فصارُوا كالعُمْيِ، والعَمَى يُقال في افتِقادِ البَصرِ والبَصيرةِ.

وصَمُّوا: أي: لم يُصْغوا إلى الحقِّ، فصاروا كالصُّمِّ، والصَّمَمُ: فقدانُ حاسَّةِ السَّمع، وبه يُوصَفُ مَن لا يُصغِي إلى الحقِّ، ولا يَقبلُه، وأصلُه: الصَّلَابةُ، وقيل: السَّدُّ.

تفسير الآيات:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69).

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى.

أي: إنَّ المسلمين- وهم أمَّةُ محمَّد - ﷺ - واليهودَ قَبل نَسْخِ دِينهم، وقبلَ تحريفِه، والصَّابئين- وهم فِرقٌ؛ منها: الصَّابئة الحُنفاءُ، الذين بَقُوا على فِطرتِهم بتوحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتحريم الظُّلمِ والفواحِش، وغيرِ ذلك، من غير تَقيُّدٍ بمِلَّة ولا نِحلة، ودون أنْ يُحدِثوا كُفرًا- والنَّصارى قَبلَ نَسْخ دِينهم، وقبل تحريفِه.

مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا.

أي: مَن آمَن مِن أتْباعِ هذه المِللِ باللهِ تعالى حقًّا، وآمَن بالمعادِ والجزاءِ يومَ الدِّين، وعمِلَ عملًا صالحًا، بأنْ يكون خالصًا لله تعالى، مُوافقًا لشريعتِه التي وجَبَ عليه اتِّباعُها.

وهذا الحُكمُ بينَ هذه الطَّوائفِ مِن حيثُ هي؛ فكلُّ مَن اتَّبع رسولَه المرسَلَ إليه في زَمانِه- قَبل بَعثةِ محمَّدٍ - ﷺ - فهو على هُدًى ونجاةٍ، فأمَّا بعدَ بَعثةِ محمَّدٍ - ﷺ -، فلا يُعدُّ مُؤمنًا مَن لم يُؤمنْ برِسالتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ولم يَعملْ بمقتضاها.

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

أي: فلا خَوفٌ عليهم ممَّا يَستقبِلونه، ولا هُم يَحزنونَ على ما يُخلِّفونه.

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70).

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا.

أي: واللهِ لقدْ أخَذْنا على اليهودِ عهدًا ثَقيلًا مؤكَّدًا، بالإيمانِ باللهِ تعالى وتوحيدِه، والقيامِ بما أوجبَه عليهم، وأرسَلْنا إليهم بذلك رُسلًا، يَتوالَون عليهم بالدَّعوة، ويتعاهدونهم بالتوجيهِ،

كما قال سبحانه: وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [المائدة: 12].

كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ.

أي: كلَّما أتاهم رسولٌ مِن أولئك الرُّسلِ الكِرامِ عليهم السَّلام، بما لا تَشتهيه نُفوسُهم، ولا يُوافق رَغباتِهم، نقَضوا تلك العُهودَ والمواثيقَ، وعانَدوا تِلك الرُّسلَ وعادَوْهم، فقاموا بتكذيبِ بعضِهم، وقتَلوا بعضًا آخَرين.

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (71).

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ.

أي: وظنَّ بنو إسرائيلَ ألَّا يترتَّبَ- جرَّاءَ ما كانوا يَفعلونَ مِن نَقضِ المواثيقِ، وتكذيبِ رُسلِ الله تعالى وقتْلهم- شرٌّ وعُقوباتٌ تَحيقُ بهم.

فَعَمُوا وَصَمُّوا.

أي: فترتَّبَ على ظنِّهم الفاسدِ هذا: أنِ استمرُّوا على طُغيانهم، فعَمُوا عن رُؤيةِ الحقِّ، وصَمُّوا عن سَماعِه، فلا يَسمعونَ حقًّا، ولا يَهتدُون إليه.

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

أي: ثمَّ وفَّقهم اللهُ تعالى للتَّوبةِ، وقَبِلَها منهم، ورفَعَ عنهم الفتنةَ التي عاقَبَهم بها، فأنابوا ورَجَعوا عمَّا كانوا عليه من الهَوى إلى الهُدَى.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾.

أي: ثمَّ بعدَ توبةِ اللهِ تعالى عليهم، واستنقاذِهم من الهَلَكةِ لم يَستمرَّ كثيرٌ منهم على التَّوبةِ، فانقلبوا إلى حالِهم القبيحةِ الأولى، وعادوا إلى ضلالِهم القديمِ، فعَمُوا مجدَّدًا عن رؤيةِ الحقِّ، وصمُّوا عن سماعِه.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: إنَّ اللهَ تعالى مُطَّلِعٌ على جميعِ أَعمالِهم لا يَخفَى عليه شيءٌ منها، ويُجازِيهم عليها يومَ القيامةِ.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (72–77)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ
رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ
(72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ
كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا
وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77)

غريب الكلمات:

وَمَأْوَاهُ: مَصِيرُه الَّذي يَأوي إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَصِيرُ فِيهِ؛ يُقال: أَوَى إلى كذا، أي: انضمَّ إليه يأوي أويًا ومأوًى، وأصْلُه: التَّجمُّع.

لَيَمَسَّنَّ: ليُصيبَنَّ، والمسُّ يُقال في كلِّ ما يَنال الإنسانَ مِن أذًى.

صِدِّيقَةٌ: كَثُر منها الصِّدقُ والتَّصديقُ، والصِّدِّيقُ يُقال لِمَن لا يَكذبُ قطُّ، وقيل لِمَن لا يَتأتَّى منه الكذبُ؛ لتعوُّدِه الصِّدقَ، وقيل لِمَن صدَقَ بقوله واعتقادِه وحقَّق صِدقَه بفعِله، وأَصْلُ (صدق) يدلُّ على قوَّةٍ في الشيءِ قولًا كان أو غيرَه.

يُؤْفَكُونَ: أي: يُصرَفون عن الحقِّ، ويعدلون عنه؛ يُقال: أفِكَ الرجلُ عن كذا: إذا عدَلَ عنه، والإفك: كلُّ مصروفٍ عن وجهِه الذي يحقُّ أن يكونَ عليه، وأَصْلُ (أفك): يدلُّ على قلبِ الشيءِ، وصرْفِه عن جِهتِه.

لَا تَغْلُوا: أي: لا تُجاوِزوا الحدَّ المسموحَ لكم به، ولا تَرتفِعوا عن الحقِّ، أو لا تَزيدوا ولا تُفرِطوا فيه، والغلوُّ: الإفراطُ والزيادةُ، ومجاوزةُ الحدِّ المسموحِ به.

ضَلُّوا: عَدَلُوا عن الطريقِ المستقيم؛ فالضَّلالُ: خِلافُ الهُدى، وضَياعُ الشَّيءِ وذَهابُه في غيرِ حقِّه.

أَضَلُّوا: أَوْقَعوا النَّاسَ في الضَّلالِ.

سَوَاءِ السَّبِيلِ: أي: قصْدِ الطريقِ ووسَطِه.

تفسير الآيات:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72)﴾.

لَمَّا تَكلَّم اللهُ عن اليهودِ في الآياتِ السَّابقةِ، شرَعَ في الكلامِ هاهنا عن النَّصارى فقال تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

أي: لقد كفرَ النَّصارى الَّذين جعَلوا اللهَ تعالى هو عَبْدَه ورسولَه المسيحَ عِيسى ابنَ مريمَ عليه السَّلام، الذي خلَقَه اللهُ عزَّ وجلَّ بشرًا مثلَهم معروفًا نَسبُه وأصلُه.

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

والحالُ أنَّ عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قد ناداهم أنِ اعبدوا- يا بني إسرائيلَ- اللهَ المستحِقَّ وحْدَه للعِبادة، الذي أنا وأنتم عبيدٌ له مَربُوبون؛ فهو مالكُنا وخالقُنا، ومُدبِّرُ أمورِنا جميعًا سبحانَه وتعالى.

إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ.

أي: إنَّ مَنْ يقعْ في شَرَك الشِّرْكِ، فيَعبُد معَ اللهِ تعالى غيرَه، فحرامٌ عليه دخولُ الجَنَّةِ في الآخِرَة، وإنَّما تكونُ النارُ مقامَه الذي يستحقُّه، ودارَه التي يَأْوِي إليها.

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ.

أي: ولَيس لِمَن ظلَمَ نفْسَه بشِركه باللهِ تعالى، ولا لأيِّ ظالمٍ كان، أيُّ ناصرٍ يمنعُ عنه عذابَ اللهِ تعالى، أو يُنقِذُه منه.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73).

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ.

أي: كفَر النَّصارى الَّذين جعَلوا المسيحَ وأُمَّه إلهَيْنِ مع اللهِ سبحانه، فجعَلوا اللهَ تعالى وتقدَّس ثالثَهم.

كما قال تعالى: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [المائدة: 116].

ثُمَّ ردَّ اللهُ تعالى عليهم هذا القولَ الباطلَ، فقال عزَّ وجلَّ:

وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ.

أي: ليسَ لكم- أيُّها الناسُ- معبودٌ بحقٍّ إلَّا معبودٌ واحدٌ غيرُ متعدِّدٍ، مُتَّصفٌ بكلِّ صِفةِ كمالٍ، مُنزَّهٌ عن كلِّ عيبٍ ونقص؛ ومنها: أنَّه ليس بوالدٍ لشيءٍ، ولا مولودٍ منه، بل هو خالقُ كلِّ والدٍ ومولودٍ، سبحانه.

كما قال تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ [المؤمنون: 91].

وقال عزَّ وجلَّ: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ [الأنبياء: 22].

وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أي: وإنْ لم يَكُفَّ قائلو هذه المقالةِ الكُفريةِ عن القولِ بهذه الفِريةِ واعتقادِها، ليُصيبَنَّ مَن استمرَّ على كُفرِه منهم- بالتمسُّكِ بها- عذابٌ مؤلِمٌ، موجِعٌ لقلوبِهم وأبدانِهم في الآخِرة.

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74).

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ.

أي: هلَّا أنابوا إلى اللهِ تعالى، ورَجَعوا عمَّا كانوا يقولونَه مِن الشِّركِ والافتراءِ، إلى ما يُحبُّه اللهُ عزَّ وجلَّ ويَرضاه؛ مِن الإيمانِ به وتوحيدِه، والإقرارِ بأنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه، ويَطلُبونَ منه سبحانه المغفرةَ؟

كما قال تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ [الأنفال: 38].

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: واللهُ تعالى أهلٌ لأنْ يتوبوا إليه ويَستغفِروه؛ فإنَّهم إنْ فعَلوا تابَ عليهم وغفَر لهم؛ لأنَّه غفورٌ يَستُرُ ذنوبَ عِبادِه، ويتجاوزُ عن مؤاخَذتِهم بها. رحيمٌ بهم، ومِن رحمتِه أنْ يَعرِض عليهم التوبةَ إليه، ويَقبَلَها منهم.

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75).

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ.

أي: ليس الأمرُ كما قال هؤلاءِ الكفرةُ في المسيحِ عليه السَّلام، بل الحقُّ أنَّه ابنُ مريمَ التي ولدتْه ولادةَ الأمَّهات لأبنائهنَّ، كغيرِه من البَشَرِ، وهو للهِ تعالى رسولٌ مثلُ سائرِ عبادِه المُرسَلين، الذين كانوا قبلَه ثم مَضَوا، فهذه غايتُه ومَبْلَغُ أمْرِه، وليس هو اللهَ ولا ابنَ الله، كما يَزعُمون.

وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ.

أي: وأمُّ المسيحِ مَرْيمُ عليها السَّلام صادقةٌ، مُصدِّقةٌ بآياتِ الله، مؤمنةٌ بعيسَى عليه السلام، مُصدِّقةٌ له، قد صدَّقت قولَها بفعلِها، وهذا أعْلى مقاماتِها.

فإذا كان عيسى عليه السَّلامُ مِن جنسِ الرُّسلِ مِن قَبلِه، وأُمُّه صِدِّيقة؛ فكيف يتَّخذُهما النَّصارى إلهينِ مع الله سبحانه؟! تعالى عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا.

كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ.

أي: كانَا محتاجَينِ إلى التغذيةِ بالطَّعامِ، وإلى خُروجِه منهما، كغيرِهما من بني آدَمَ، وليسَا بإلهينِ كما زعَم النَّصارى؛ إذ لو كانَا كذلك حقًّا لاستَغْنيَا عن الطعامِ؛ فالمفتقرُ إلى الغذاءِ قِوامُه بغيرِه، وفي قوامِه بغيرِه وحاجتِه إلى ما يُقيمه دليلٌ ظاهرٌ على عَجْزِه، والعاجزُ لا يكونُ ربًّا، بل مربوبٌ؛ فإنَّ الإلهَ الحقَّ مُستغنٍ عن غيرِه، كما وصَفَ اللهُ تعالى نفْسَه بقولِه: وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ [الأنعام: 14].

انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ.

أي: انظُرْ- يا محمَّدُ- نظرَ تدبُّرٍ وإقرارٍ؛ كيف نُورِدُ لهؤلاءِ الكفرةِ الأدلَّةَ والحُججَ المجلّيةَ للحقِّ، الموضِّحةَ لبُطلانِ ما يَفتُرون على ربِّهم.

ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

أي: ثم انظُرْ- يا محمَّدُ- كَرَّةً أخرى نظرَ تعجُّبٍ وإنكارٍ؛ كيف يُصرَفونَ عن الحقِّ فيَضلُّون مع هذه البراهينِ الجليَّةِ التي لا تَدَعُ مجالًا للشكِّ؟! ومِن أينَ يتطرَّقُ إليهم الصرفُ عن الاعتقادِ الحقّ، بعدَ هذا البيانِ البالغِ غايةَ الوضوحِ؟!

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76).

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

أي: قلْ- يا محمَّدُ- منكرًا على هؤلاءِ الكَفَرةِ مِن النصارى وغيرِهم: أتَعبدُونَ سوى اللهِ- الذي يَملِكُ ضرَّكم ونَفْعَكم- شيئًا لا يَقدِرُ على إلحاقِ أيِّ ضَررٍ بكم، ولا جَلْبِ أيِّ نفعٍ لكم؟!

وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

أي: واللهُ عزَّ وجلَّ هو السَّميعُ لكلِّ شيءٍ، ومِن ذلِك أقوالُكم، العليمُ بكلِّ شيءٍ، ومِن ذلك أعمالُكم، فلِمَ عَدلْتُم عن إفرادِه سبحانه بالألوهيَّة، إلى تأليهِ مَن ليستْ هذه صِفتَه؟! فإنَّ الكاملَ الذي هذِه أوصافُه هو الإلهُ الحقُّ الذي يستحقُّ أنْ يُعبدَ وحْدَه.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77).

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ.

أي: قلْ- يا محمَّدُ- لهؤلاءِ النَّصارى الذين آتاهُم اللهُ تعالى كتابًا ينطِقُ بالحقِّ: لا تُفْرِطوا فيما تَدينون به مِنَ الحقِّ في أمْرِ المسيحِ عليه السَّلام، ولا تُطْرُوا هذا الذي أُمرتُم بتعظيمِه فتُبالِغوا في شأنِه، وتَتعَدَّوْا فيه الحقَّ إلى الباطِلِ، فتُخرِجوه عن حيِّزِ النبوَّةِ إلى مقامِ الألوهيَّةِ.

وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.(84)

أي: ولا تَنقادُوا للأهواءِ المخالفةِ للحقِّ الصادرةِ مِن أكابرِكم ورُهبانِكم الجَهَلةِ الذين كانوا مِن قبلِكم، وقد ابتَدعوا بِدَعًا بدَّلوا بها شَرْعَ المسيحِ عليه السَّلام، فحادوا عن طريقِ الهُدى، وصَرَفوا عنه كثيرًا من الناسِ، وانحرَفوا عنِ الصِراطِ المستقيمِ المعتَدِلِ، الذي ليس فيه غلوٌّ ولا تفريطٌ.

قال تعالى: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص: 50].

---

(84) قال ابنُ عطية (٣/٢٢٧) في تفسير الآية: «ومعنى الآية: لا تتبعوا أنتم أهواءكم كما اتبع أولئك أهواءهم.

فالمعنى: لا تتبعوا طرائقهم.

والذي دعا إلى هذا التأويل أنّ النصارى في غُلُوِّهم ليسوا على هوى بني إسرائيل، هم بالضِّدِّ في الأقوال، وإنما اجتمعوا في اتباع نوع الهوى، فالآية بمنزلة قولك لمن تلومه على عِوَج: هذه طريقة فلان.

تُمَثِّله بآخر قد اعْوَجَّ نوعًا آخر من الاعوجاج، وإن اختلفت نوازله».

وبيّن أن قوله تعالى: ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا﴾ وصف لليهود بأنهم قد ضلوا قديمًا، وأضلُّوا كثيرًا من أتباعهم، ثم ذكر قولًا آخر، فقال: «وذهب بعض المتأولين إلى أن المعنى: يا أهل الكتاب من النصارى، لا تتبعوا أهواء هؤلاء اليهود الذين ضلُّوا من قبل، أي: ضل أسلافهم وهم قبل مجيء محمد، وأضلوا كثيرًا من المنافقين، وضلوا عن سواء السبيل الآن بعد وضوح الحق».

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (78–81)

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78)

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79)

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80)

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81)

تفسير الآيات:

لَمَّا ذكَرَ اللهُ سبحانَه في الآيةِ السابقَةِ أنَّهم قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ، دلَّل على ذلِك بلَعْنِهم مِن أنبيائِهم، فقال:

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78).

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

أي: إنَّ اللهَ تعالى قد طَرَدَ كُفَّارَ بني إسرائيلَ، وأَبْعدَهم عن رَحمتِه بدَعوةِ نبيَّيْهِ داودَ وعِيسى عليهم بذلِك.

ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

أي: إنَّ ذلِك اللَّعنَ قدْ وقَع عليهم بسببِ عِصيانهم للهِ تعالى، وظُلمِهم لعبادِه.

ثم بَيَّنَ اللهُ تعالى حالَهم فيما كانوا يَعتمِدونَه في زمانِهم، مِن عُدوانٍ ومعاصٍ أحَلَّتْ بهم الْمَثُلاتِ، وأوقعتْ بهم العُقوباتِ، فقال سبحانَه:

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79).

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ.

أي: كان لا يَنهى بعضُهم بعضًا عن رُكوبِ المعاصِي وارتكابِ المُحرَّمات.[85]

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

أي: واللهِ بِئسَ الشَّيءُ الذي كانوا يَفعلونَه، وهو ترْكُهم النَّهيَ عن معاصِي اللهِ تعالى.

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80).

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا.

أي: ترَى– يا مُحمَّدُ –كثيرًا من اليهودِ يتَّخذون الكفَّارَ والمشركين أولياءَ لهم.

لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ.

أي: واللهِ بِئسَ الشَّيءُ الذي قدَّمتْه لهم أنفسُهم لِمَعادِهم في الآخِرة، بموالاتِهم الكافرينَ والمشركين، وهو سَخَطُ اللهِ تعالى عَليهم سَخطًا مُستمرًّا إلى يَومِ القِيامةِ؛ الذي يَنتقلونَ فيه إلى عذابٍ أبديٍّ.

---

(85) قال ابنُ عطية (٣/٢٢٩): «والإجماع على أنّ النهي عن المنكر واجبٌ لمن أطاقه، ونهى بمعروف، وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين، فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه ففرض عليه الإنكار بقلبه، وأن لا يخالط ذا المنكر.
وقال حُذّاق أهل العلم: ليس من شروط الناهي أن يكون سليمًا من المعصية، بل ينهى العصاةُ بعضُهم بعضًا.
وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضًا.
واستدل قائل هذه المقالة بهذه الآية؛ لأن قوله: ﴿يتناهون﴾ و﴿فعلوه﴾ يقتضي اشتراكهم في الفعل، وذمّهم على ترك التناهي».

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

(81).

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ.

أي: ولوْ أنَّ اليهودَ آمنوا حقًّا باللهِ تعالى وبمحمَّدٍ – ﷺ – وبالقرآنِ العظيمِ، لَمَا جعَلوا الكفَّارَ أولياءَ لهم مِن دون المؤمنين؛ فإنَّ الإيمانَ بذلِك يُوجِبُ على العَبدِ موالاةَ ربِّه سبحانه وأوليائِه المؤمنين، وبُغضَ أعدائِه الكافِرين ومعاداتَهم.

وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

أي: ولكنَّ كثيرًا مِن هؤلاءِ أهلُ خُروجٍ عن الإيمانِ بما يجِبُ عليهم الإيمانُ به إلى الكُفرِ به، وعن طاعةِ اللهِ تعالى إلى مَعصيتِه سبحانه.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (82–86)

لَتجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82)

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83)

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84)

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85)

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (86)

غريب الكلمات:

قِسِّيسِينَ: جمْع قِسِّيس، وهو العالِمُ العابِدُ مِن رُؤوس النَّصارى، على وزْن فِعِّيل، مِن: قَسَسْت الشَّيْء وقَصَصْته إذا تتبَّعْته؛ وسُمِّي القِسِّيسُ بهذا لتتبُّعه كِتابَه، وآثارَ مَعَانِيه، وأصل (قسس): تتبُّع الشَّيء وطلبُه.

رُهْبَانًا: رُهبانُ النَّصارَى هم المبالِغونَ في الْعِبَادَة، والانقطاعِ عَن النَّاس، جمْع رَاهِبٍ، وهو الذي يَرهَبُ اللهَ، أي: يخافه، وأصل (رهب): يدلُّ على خوفٍ.

تَفِيضُ: تَسيل، وأصل (فيض): يدُلُّ على جَرَيانِ الشَّيءِ بِسُهولةٍ.

فَأَثَابَهُمُ: أي: فَجازَاهم، والإثابةُ: ما يرجِعُ للإنسانِ من ثوابٍ، وتُستعمَل في المحبوبِ والمكروهِ.

الْجَحِيمِ: أي: النَّارِ، والجحيمُ أيضًا الجَمر، والجُحْمَة: شدَّةُ تأجُّج النَّار، وأصْل (جحم): عِظَمُ الحرارة وشِدَّتها.

تفسير الآيات:

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82).

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا.

أي: لَتجِدنَّ– يا محمَّدُ– أعظمَ النَّاسِ عداوةً للمُؤمنينَ وأكثرَهم سعيًا في إلحاقِ الضَّررِ بهم؛ لشِدَّة بُغضِهم وبغيِهم وحسَدِهم لهم؛ اليهودَ والمشركينَ.

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى.

أي: ولَتجدَنَّ– يا محمَّد– أقربَ النَّاسِ وِدادًا لأهلِ الإيمانِ مِن أهل المِلَلِ المخالِفةِ للإسلامِ، النَّصارى.[86]

---

(86) اختُلِفَ في نزول قوله تعالى: ﴿ولَتَجِدَنَّ أقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾ إلى قوله: ﴿مَعَ الشّاهِدِينَ﴾.
ورجّح ابنُ جرير (٥٩٧/٨) مستندًا إلى ظاهر القرآن صِحّةَ كلا القولين، وعدم القطع بتخصيص قوم دون قوم، فقال: «والصوابُ في ذلك مِن القول عندي: أنّ الله –تعالى ذِكْرُه– وصَفَ صِفَةَ قومٍ قالوا: إنّا نصارى.
أنّ نبيَّ الله ﷺ يجدهم أقربَ الناس وِدادًا لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يُسَمِّ لنا أسماءَهم، وقد يجوز أن يكون أُريد بذلك أصحاب النجاشيِّ، ويجوز أن يكون أُريد به قومٌ كانوا على شريعة عيسى فأدركهم الإسلام، فأسلموا لَمّا سمعوا القرآن وعرفوا أنّه الحق، ولم يستكبروا عنه».

ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ.

أي: قرُبَتْ مودَّتُهم للمؤمنين مِن أجْلِ أنَّ منهم علماءَ وعُبَّادًا– فالعبادةُ تُلَطِّف القلبَ وتُرقِّقه– كما أنَّهم يَتواضعونَ للحقِّ إذا عرَفوه، ولا يَستكبِرون عن قَبولِه، والانقيادِ إليه إذا تبيَّنوه.(87)

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83).

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ.

أي: وإذَا سَمِعوا، ما أُنزل إلى مُحمَّدٍ – ﷺ – مِن القرآنِ الكريمِ يُتْلَى.

---

(87) اختلف المفسرون في المعنيين بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنهُمْ قِسِّيسِينَ ورُهْبانًا﴾ على قولين: الأول: أنهم قوم كانوا استجابوا لعيسى ابن مريم حين دعاهم، واتبعوه على شريعته.

وهو قول ابن عباس من طريق حصين.

والثاني: أنهم القوم الذين كان النجاشي بعثهم إلى رسول الله ﷺ.

ورجَّح ابنُ جرير (٨/٦٠٠) جامعًا بينهما، ومستندًا إلى ظاهر القرآن، فقال: «والصواب في ذلك من القول عندنا أن يُقال: إنّ الله –تعالى ذِكْرُه– أخبر عن النَّفَر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله، أنّ ذلك إنما كان منهم لأنّ منهم أهل اجتهاد في العبادة، وترهبٍ في الديارات والصوامع، وأنّ منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوةٍ لها، فهم لا يَبْعُدون من المؤمنين؛ لتواضعهم للحق إذا عرفوه، ولا يستكبرون عن قَبوله إذا تبيَّنوه؛ لأنهم أهل دينٍ واجتهادٍ فيه، ونصيحةٍ لأنفسهم في ذات الله، وليسوا كاليهود الذين قد دَربوا بقتل الأنبياء والرسل، ومعاندة الله في أمره ونهيه، وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه».

تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ.

أي: ترَى أعينَهم قد امتلأتْ دُموعًا فتسيلُ منها؛ وذلك لأنَّهم عرَفوا أنَّ الذي يُتلَى عليهم مِن كِتاب اللهِ تعالى حقٌّ، ومِن ذلك: بَعْثةُ النبيِّ الموعودِ به- محمَّدٍ - ﷺ - الذي خبرُه من جُملةِ الحقّ الذي جاءَ به عيسى عليه السلامُ، والنبيُّون مِن قَبلِه.

وفي حديثِ بَدْءِ الوحيِ عن عائشةَ رضي الله عنها: ((أنَّ النبيَّ - ﷺ - لَمَّا رجَعَ إلى خَديجةَ يرجُفُ فؤادُهُ، انطلقتْ به إلى وَرقةَ بنِ نوفلٍ- وكان رجلًا تنصَّرَ يَقرأُ الإنجيلَ بالعربيَّةِ- فقال وَرَقةُ: ماذا ترَى؟ فأخبرَهُ، فقال ورقةُ: هذا الناموسُ[88] الذي أَنزلَ اللهُ على موسى، وإنْ أدركني يومُكَ أنصُرْكَ نصرًا مؤزَّرًا)).[89]

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

أي: والحالُ أنَّهم يقولون: يا ربَّنا، آمنَّا بالحقِّ؛ فلأجْلِ هذا الإيمانِ اجْعَلْنا مع محمَّدٍ - ﷺ - وأُمَّته، وأَثبِتْنا معهم في عِدادهم؛ فهم الذين يَشهَدون للهِ تعالى بالتوحيدِ، ولرُسلِه بالرِّسالة، وصحَّةِ ما جاؤُوا

(88) الناموس: يقصد جِبريلَ عليه السلام- وهكذا يُسمّيه أهل الكتاب.
والناموس: هو صاحبُ سرِّ الخير؛ وناموسُ الرجُل: صاحبُ سرِّه الذي يُطلعه على باطنِ أمْره، ويَخصُّه بما يَستُره عن غيره.
يُنظر: ((الصحاح)) للجوهري (986/3)، ((النهاية)) لابن الأثير (119/5).
(89) رواه البخاري (3392) واللفظ له، ومسلم (160).

به، وأنَّهم بلَّغوا أُممَهم، ويَشهَدون على الأُممِ السَّابقة بالتصديقِ أو التَّكذيب، كما قال تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا [البقرة: 143].

وقال تعالى: فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران: 52–53].

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84).

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ.

أي: قال هؤلاءِ النَّصارى الذين أسْلَموا: وما الذي يَمنعُنا من الإيمانِ بالله تعالى، وما أتانا مِن الحقِّ، الذي لا يَقبَلُ الشكَّ والرَّيبَ؟!

كما قال عزَّ وجلَّ: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [آل عمران: 199].

وقال الله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ [القصص: 52– 53].

وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ.

أي: ونحنُ نَطمعُ بإيمانِنا أن يُدخِلَنا ربُّنا مع المؤمنِين باللهِ، المُطيعين له، جَنَّته يومَ القيامة.

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85).

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

أي: فجَزاهم اللهُ تعالى بما تَفوَّهوا به من الإيمانِ، ونَطقوا به من الحقِّ في قولِهم: رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ... مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ جنَّاتٍ تَجري الأنهارُ من تحتِ أشجارِها وقُصورِها، وهم ماكثونَ فيها على الدَّوام.

ولَمَّا كانتِ اللَّذةُ لا تَكمُل إلَّا بالدَّوامِ، قال تعالى:

خَالِدِينَ فِيهَا.

أي: ماكثِينَ فيها على الدَّوام، لا يَخْرُجون منها، ولا يُحوَّلونَ عنها.

وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ.

أي: هذا الذي جَزيتُ به أولئك القومَ من الخُلودِ في الجنَّاتِ، جزاءُ كلِّ مُحسِنٍ في عِبادة الله تعالى، أو مُحسنٍ إلى عِبادِه.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (86).

أي: وأمَّا الكُفَّارُ والمكذِّبون بآياتنا فإنَّهم سُكَّانُ النَّارِ الشَّديدةِ التأجُّجِ والحرارةِ، الملازِمون لها.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (87–89)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

(87)

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88)

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89)

غريب الكلمات:

بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ: الأيمانُ اللَّاغيةُ هي التي لا يَقصِدها الحالفُ، بل تَجرِي على لِسانه عادةً من غير تَعقيدٍ ولا تأكيدٍ. واللَّغو: ما يَجري في الكلامِ على غيرِ عَقْدٍ ولا قصْدٍ، ويُطلق اللَّغوُ على الباطِل من الكَلامِ. والْأَيْمَان: جمْع يمينٍ، وهو القَسَم، وأصلُه مِن اليُمْن، أي: البركة، سمَّاها اللهُ تعالى بذلِك؛ لأنَّها تَحفَظُ الحُقوقَ.

عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ: وثَّقتُموها باللَّفظِ مع العزمِ عليها، والعقدُ: الجمْعُ بين أطرافِ الشَّيء، وأصلُ (عقد): يَدلُّ على شَدٍّ، وشِدَّةِ وُثوقٍ.

أَوْسَطِ: أي: أَعْدَل، في المقدارِ، أو في الجِنس، أو في القِلَّة والكَثرةِ، وأصل (وسط) يَدُلُّ عَلَى العَدْلِ والنِّصْفِ.

تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ: أي: إعتاقُها؛ يُقال: حررتُ المملوك، أي: أعْتَقْته، وأصل (حرر): ما خالَف العُبوديَّة، وما بَرِئَ من العيبِ والنَّقْص، والرقبةُ تُطلَقُ على الإنسانِ المملوكِ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، لا تَحكُموا بالحُرمةِ على ما أباحه اللهُ تعالى لكم من مَلذَّاتٍ تَشتهيها النُّفوسُ مِن مناكِحَ ومطاعِمَ ومشارِبَ وغيرِها، فلا تردُّوا نِعمتَه عليكم بعدَمِ قَبولِها، واعتقادِ تحريمِها، فتَجمعوا بذلك بين الكَذِب على الله تعالى، وكُفرِ نِعمتِه.

قال الله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ [النحل: 116].

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، قال: ((جاءَ ثلاثةُ رَهْطٍ[90] إلى بُيوتِ أزواجِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يَسألونَ عن عِبادةِ النبيِّ - ﷺ -، فلمَّا أُخبِروا كأنَّهم تقالُّوها،[91] فقالوا: أين نحنُ مِنَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ قدْ غفرَ اللهُ له ما تقدَّم من ذَنْبِه وما تأخَّر، قال أحدُهم: أمَّا أنا فإنِّي أُصلِّي

---

(90) الرَّهْطُ: ما دُونَ عَشَرةٍ مِنَ الرِّجالِ، ليس فيهم امرأةٌ، وقيل: ما دونَ الأربعينَ.
يُنظر: ((المصباح المنير)) للفيومي (241/1)، ((مرقاة المفاتيح)) للملا الهروي (227/1).

(91) تَقالُّوها: استَقَلُّوها، وهو تفاعُلٌ مِنَ القِلَّة.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (104/4)، ((فتح الباري)) لابن حجر (105/9).

اللَّيلَ أبدًا، وقال آخَرُ: أنا أصومُ الدَّهرَ ولا أُفطِرُ، وقال آخَرُ: أنا أَعتزِلُ النِّساءَ فلا أتزوَّجُ أبدًا، فجاءَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: أنتمُ الذين قُلتُم كذا وكذا؟ أمَا واللهِ إنِّي لَأخشاكم للهِ وأتْقاكم له، لكنِّي أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلِّي وأرقُدُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ؛ فمَن رغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي)).[92]

وعن سَعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه، قال: ((أرادَ عُثمانُ بنُ مَظعونٍ أنْ يَتبتَّلَ،[93] فنهاه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولو أجازَ له ذلِك لاختَصَيْنا)).[94]

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ الله عنهما، أنَّ النبيَّ – ﷺ – قال له: ((ألَمْ أُخبَرْ أنَّكَ تقومُ اللَّيلَ وتصومُ النَّهارَ؟ قلتُ: إنِّي أفعلُ ذلك، قال: فإنَّك إذا فعلتَ ذلِك، هَجَمَتْ[95] عَيناكَ، ونفِهَتْ[96] نَفْسُكَ! لِعينِك حقٌّ، ولنَفْسِكَ حقٌّ، ولأهلِكَ حقٌّ؛ قُمْ ونَمْ، وصُمْ وأفطِرْ)).[97]

---

(92) رواه البخاري (5063) واللفظ له، ومسلم (1401).

(93) أرَادَ أنْ يَتبَتَّلَ: أي: أراد الانقطاعَ عن النِّساء وتَرْكَ النِّكاح.

ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (94/1).

(94) رواه البخاري (5073)، ومسلم (1402) واللفظ له.

(95) هَجَمَتْ، أي: غَارَتْ ودَخَلَتْ في نُقْرَتِها من الضَّعْفِ.

ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (247/5)، ((شرح النووي على مسلم)) (45/8).

(96) نَفِهَت– بكسرِ الفاءِ، وفتْحُها لغةٌ–: أي: أعيتْ وكلَّتْ، وضَعُفَتْ وسَقَطَتْ.

ينظر: ((الصحاح)) للجوهري (2253/6)، ((النهاية)) لابن الأثير (100/5)، ((تاج العروس)) للزبيدي (529/36).

(97) رواه البخاري (1153)، ومسلم (1159) واللفظ له.

وعن أبي جُحَيفةَ وهْبِ بنِ عبدِ اللهِ السُّوَائيِّ، قال: ((آخَى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بين سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرداءِ، فرأى أُمَّ الدَّرداءِ مُتبَذِّلَةً،[98] فقال لها: ما شأنُكِ؟ قالتْ: أخوك أبو الدَّرداءِ ليس له حاجةٌ في الدُّنيا، فجاءَ أبو الدَّرداءِ، فصَنَع له طعامًا، فقال: كُلْ، قال: فإنِّي صائمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تأكُلَ، قال: فأكَل، فلمَّا كان اللَّيلُ ذهَب أبو الدَّرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنامَ، ثم ذهَبَ يَقومُ، فقال: نَمْ، فلمَّا كان مِن آخِرِ اللَّيلِ، قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فَصلَّيَا، فقالَ له سَلمانُ: إنَّ لربِّك عليك حقًّا، ولنفْسِك عليك حقًّا، ولأهلِك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتَى النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فذكَر ذلك له، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: صَدَق سَلمانُ)).[99]

وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.

أي: ولا تُجاوِزوا حدودَ الله تعالى فيما أَحلَّ لكم وحَرَّم عليكم؛ فإنَّ الله تعالى لا يُحبُّ مَن يَتعدَّى حدودَه سُبحانَه.[100]

---

(98) مُتَبَذِّلَةً: أي: لابِسَةً ثيابَ البِذْلةِ- بكَسرِ الباءِ- وهي: المِهْنَةُ وزنًا ومعنًى، أي: أنَّها تارِكةٌ لِلِباسِ الزِّينةِ.
والتَّبذُّل: تَركُ التَّزَيُّنِ والتَّهَيُّؤ بالهَيئةِ الحَسَنةِ الجَميلةِ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (111/1)، ((فتح الباري)) لابن حجر (210/4).

(99) رواه البخاري (1968).

(100) اختلف المفسرون في معنى الاعتداءِ المنهيِّ عنه في الآية على أقوال: الأول: أنّ الاعتداء ما همَّ به عثمان بن مظعون من جَبِّ نَفْسِه.
والثاني: ما هَمَّ به بعض الصحابة من تحريم النساء، والطعام، واللباس، والنوم.
والثالث: أنّه تَجاوُز الحلال إلى الحرام.
ورجّح ابنُ جرير (٨/٦١٥) مستندًا إلى دلالة العموم شمول معنى الاعتداء لكلِّ تلك الأقوال.

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88).

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا.

أي: وكُلوا – أيُّها المؤمنونَ – مِن رِزق اللهِ تعالى الذي ساقَه إليكم، ويَسَّره لكم في حالِ كونِه حلالًا، غيرَ خبيثٍ.

كما قال تعالى: كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأعراف: 31].

وقال أيضًا: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [البقرة: 172].

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ.

أي: واجْعَلوا بينكم وبين غضَبِ الله تعالى وعذابِه حاجزًا يَقيكم مِن ذلك بامتثالِ ما أمَرَ به، واجتنابِ ما نَهى عنه، ومِن ذلك اعتداءُ حدودِه؛ فإنَّ إيمانَكم باللهِ عزَّ وجلَّ يُوجِبُ عليكم تقواه.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89).

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ.

أي: لا يُعاقِبُكم اللهُ تعالى بكفَّارةٍ تَلزمُكم في الدُّنيا، ولا بعُقوبةٍ تَحُلُّ بِكم في الآخِرة، على الأيْمانِ التي صدَرَتْ منكم على وجهِ اللَّغْو، وهي الأيْمانُ التي حلَف بها المُقسِمُ مِن غير نيَّةٍ ولا قَصْدٍ، أو عقَدَها يظنُّ صِدْقَ نفْسِه، فبان الأمرُ بخِلافِ ما ظنَّه.

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ.

أي: ولكن يُعاقِبُكم اللهُ تعالى بما عقدتُم العزمَ عليه، وقَصدتموه مِن الأيْمان.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ قراءات:

1- عَاقَدْتُمُ، أي: تَعاهدتُم، وتحالفتُم، وهو فعلٌ مِن اثنين.[101]

2- عَقَدْتُمُ- بتَخفيفِ القافِ-، أي: أوْجَبْتُم، فالمعنى: أوجبتموها على أنْفُسِكم، وعَزَمتْ عليها قلوبُكم، وهذا يدلُّ على أنَّه أراد به عقْدَ مرَّةٍ واحدة؛ لأنَّ مَن حَلَف مرَّةً واحدةً لَزِمَه البِرُّ أو الكفَّارة.[102]

---

(101) قرأ بها ابنُ ذكوان.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 226).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 235)، ((البحر المحيط)) لأبي حيان (351/4).

(102) قرأ بها حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكر.

3- عَقَّدْتُمُ- بتشديد القاف-، أي: وَكَّدتُم، فالتَّشديدُ يدلُّ على كثرةِ الفِعل؛ فهو يدلُّ على توكيدِ اليمينِ بالحَلِفِ على الشيءِ مرارًا.[103]

فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ.

أي: كفَّارةُ ما حَنِثْتُم فيه من اليمينِ المعقودةِ؛ إطعامُ عَشَرةِ محاويجَ ليس لدَيهم ما يَكفِيهم، مِن صِنفٍ وَسَطٍ بين الجيِّد والرَّديء، ممَّا تُطعمون أَهْلِيكم.[104]

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 226).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (616/8)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 234)، ((الكشف)) لمكي (417/1).

(103) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 226).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (338/1)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 234)، ((الكشف)) لمكي (417/1)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (353/4).

(104) اختُلِفَ في المقصود بقوله تعالى: ﴿مِن أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾ على قولين: الأول: من أوسط أجناس الطعام الذي يقتاته أهل بلدِ المكفِّر.

ثم اختلف هؤلاء في مقدار ما يُطْعِم، فمِن قائل: نصف صاع من حِنطَة، أو صاع من سائر الحبوب غيرها، ومِن قائل: من كل شيءٍ من الحبوب مدٌّ واحد، ومِن قائل: غداءٌ وعشاءٌ.

الثاني: من أوسط ما يُطْعِم المكَفِّرُ أهلَه في القلَّة والكثرة.

وقد رجَّح ابنُ جرير (٨/٦٣٦-٦٣٧) القول الثاني.

ورجَّح ابنُ تيمية (٢/٥٣٤ بتصرف) -ولم يذكر مستندًا- الرجوعَ إلى العُرْف في مقدار ما يُطْعِمه المكَفِّر، فقال: «أمر الله تعالى بإطعام المساكين من أوسط ما يُطْعِم الناس أهليهم.

وقد تنازع العلماءُ في ذلك: هل ذلك مُقدَّر بالشرع، أو يرجع فيه إلى العُرْف؟ والراجح في هذا كُلِّه أن يرجع فيه إلى العُرْف، فيطعم كل قوم مما يطعمون أهليهم».

أَوْ كِسْوَتُهُمْ.

أي: وإمَّا كسوةُ عَشرةِ مَساكين.[105]

أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ.

أي: أو فكُّ عبدٍ مُؤمنٍ مِن أَسْرِ العُبوديَّة.

فمَتَى فعَل واحدًا مِن هذه الثلاثةِ التي هو مخيَّرٌ فيها، فقدِ انحلَّتْ يمينُه.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

أي: فمَن لم يَقْدِرْ على التَّكفيرِ عن يمينِه بواحدةٍ مِن هذه الخِصالِ الثَّلاث، فعليه أنْ يَعدِلَ إلى الصِّيامِ، فيصومَ ثلاثةَ أيَّام.

ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ.

أي: هذا الذي ذَكرتُه لكم مِن الخِصالِ الأربعِ (الإطعام، والكسوة، وتحرير رَقبة، والصِّيام)، يُكفِّرُ ما حَنِثتُم فيه من الأيمانِ المعقودةِ.

---

(105) اخْتُلِفَ في حَدِّ الكسوة على أقوال: الأول: كسوة ثوب واحد.

الثاني: الكسوة ثوبين ثوبين.

الثالث: ثوبٌ جامعٌ، كالمِلْحَفة والكِساء والشيء الذي يَصْلُحُ للُّبْسِ والنوم.

الرابع: كسوة إزارٍ ورداءٍ، أو قميصٍ.

الخامس: كلُّ ما كسا فَيُجْزِئ، والآية على عمومها.

وقد رجَّح ابنُ جرير (٨/٦٤٥) مستندًا إلى ظاهر القرآن، والإجماعِ أنّ المراد: ما وقع عليه اسمُ كسوة مما يكون ثوبًا فصاعدًا.

وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ.

أي: واحْفَظوا- أيُّها المؤمنون- أيمانَكم عن الحَلِف باللهِ تعالى كَذِبًا، وعن كثرةِ الحَلِف، وعن الحِنْثِ فيها- إلَّا إنْ كان الحِنثُ خيرًا- وعن ترْكِ الكفَّارة إذا لزِمَتْكُم.

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

أي: كمَا أوضحَ اللهُ تعالى لكم كفَّارةَ أيمانِكم، فإنَّه يُوضِّحُ لكم أيضًا آياتِه الشرعيَّةَ، وأعلامَ دينِه؛ لتَشْكُروه سبحانَه على ذلك حيثُ علَّمكم ما لم تَكونوا تَعلمُون.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (90–93)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ **(90)**

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ **(91)**

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ **(92)**

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ **(93)**

غريب الكلمات:

الْمَيْسِرُ: القِمار؛ مِن قولهم: يَسَرَ، إذا ضَرَب بالقِداحِ، وأصلُ (يسر): يَدُلُّ على انْفِتاحِ شَيءٍ وخِفَّته.

الْأَنْصَابُ: جَمْع نُصُب، وهو: حَجرٌ أو صَنمٌ يَذبحون عندَه، أو يُنصَبُ للعبادةِ، وأصل (نصب): يدلُّ على إقامةِ شيءٍ، وإهدافٍ في استواءٍ.

الْأَزْلَامُ: أي: القِداحُ التي كانوا يَضربون بها، ثم يعملون بما يخرجُ فيها مِن أمرٍ أو نهيٍ، أو التي يَضربون بها على الميسرِ، أو هي سِهامُ العَرَب، مفردها: زلَم.

رِجْسٌ: أي: قذَرٌ مُنْتِن، وأصل (رجس): يدلُّ على اختلاطٍ.

الشَّيْطَانِ: إبليسَ؛ وكلُّ عاتٍ مُتمرِّدٍ مِن الجنّ والإنسِ والدوابّ: شيطانٌ، وأصلُه من (شطَن) إذا تباعَد؛ وذلك لبُعدِه عن الخيرِ أو رَحمةِ اللهِ تعالى. وقيل: أصله مِن (شيَط) إذا احترَق.

يَصُدَّكُمْ: أي: يَصرِفَكم ويَمنعَكم، والصدُّ: الإعراضُ والعدولُ، ويُطلَق أيضًا على الانصرافِ عن الشيءِ والامتناعِ عنه، وأصل (صدد): صرَف ومنَع.

جُنَاحٌ: إثمٌ؛ سُمِّي الإثمُ بذلك لِمَيلِه عن طريقِ الحقِّ؛ فأصل (جنح): مال وتَعدَّى.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، إنَّ الخمرَ والقِمارَ وما نُصِبَ لعبادةِ غيرِ الله تعالى، والأزلامَ التي يُسْتَقْسَم بها، كما كانتِ العربُ في جاهليَّتِها يَتعاطَون ذلك، وهي عبارةٌ عن قِداح ثلاثةٍ، مكتوبٌ على أحدِها: «افْعَل»، وعلى الآخَر: «لا تفعل»، والثَّالث ليس عليه شيءٌ، وقِيل: كان يُكتَب على الواحدِ منها: «أَمَرني ربِّي»، وعلى الآخَر: «نَهاني ربِّي»، والثالث ليس عليه شيءٌ، فإذا أجالَها فطَلَع السَّهمُ الآمِرُ فعَلَه، أو النَّاهي ترَكَه، وإنْ طلَعَ الفارغُ أعاد الاستقسامَ، حتى يَخرُجَ أحدُ القَدَحينِ الآخَرينِ فيَعملَ به.

رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.

أي: إنَّ تلك الأشياءَ ما هي إلا خُبثٌ ونَتَنٌ وأمورٌ مُستقذَرَة، يَنبغي أن تَعافَها النُّفوسُ، وهي مِن تزيينِ الشيطان، ووحْيِه إليكم؛ ليُرغِّبَكم في إتيانِها وتعاطيها.

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

أي: فابْتَعِدوا عن هذا الرِّجْس؛ كيما تَظْفَروا بما تَطلُبون، وتَنجوا ممَّا ترهَبُون.(106)

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91).

سَببُ النُّزولِ:

عن مُصعَبِ بنِ سَعدٍ، عن أبيه، أنَّه قال: أتيتُ على نفرٍ مِنَ الأنصارِ والمهاجرينَ، فقالوا: تعالَ نُطْعِمْك، ونَسْقِك خمرًا، وذلك قبل أنْ تُحرَّم الخمرُ، قال: فأتيتُهم في حَشٍّ– والحَشُّ البُستانُ – فإذا رأسُ جَزورٍ مشويٌّ عندهم، وزِقٌّ مِن خَمْر، قال: فأكلتُ وشَرِبْتُ معهم، قال: فذكرتُ الأنصارَ والمهاجرينَ عندهم، فقُلْتُ: المهاجرون خيرٌ من الأنصارِ، قال فأخَذَ رجلٌ أحدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فضرَبَني

(106) اختُلِف في نزول قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّما الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشَّيْطانِ فاجْتَنِبُوه﴾ على أقوال: الأول: أنها نزلت بسببٍ كان من عمر بن الخطاب، وهو أنه ذكر مكروه عاقبة شربها لرسول الله ﷺ، وسأل اللهَ تحريمها.

الثاني: أنها نزلت بسبب سعد بن أبي وقاص، وقصته مع الرجل الذي لاحاه على شرابٍ لهما.

الثالث: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار.

الرابع: بسبب الميسر حيث كان يؤدي إلى العداوة والبغضاء، لا بسبب السكر الذي يحدث لهم من شرب الخمر.

ورجّح ابن جرير (٨/٦٦٢–٦٦٣) جواز جميعها، وعدم القطع بقول منها للعموم، وعدم الدليل على تخصيص بعض دون بعض.

به، فجرَح بأنفي، فأتيتُ رسولَ الله – ﷺ –، فأخبرتُه، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ فيَّ– يعني: نفْسَه – شأنَ الخمرِ: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ [المائدة: 90].[107]

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ.

أي: إنَّما يُريدُ لكم الشيطانُ– عن طَريقِ شُربِ الخمرِ وتَعاطِي القِمار– أن يُعاديَ بعضُكم بعضًا بأفعالِهم، ويُبغضَ بعضُكم بعضًا بقلوبِهم، فيُشتِّت أمرَكم بعد تأليفِ الله تعالى بين قلوبِكم.

وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ.

أي: ويُريدُ الشيطانُ أنْ يَصرِفَكم بغَلَبةِ هذه الخمرِ على عُقولِكم، وباشتغالِكم بهذا الميسرِ عن ذِكرِ الله تعالى بألسِنَتِكم وجوارحِكم وقُلوبِكم، وعن الصَّلاةِ التي بها فلاحُكم.

فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ.

أي: فهلْ تَمتنِعون عن تِلك القبائحِ بعدَ هذا البيانِ الجليِّ والموعظةِ البليغة؟

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

.(92)

---

(107) رواه مسلم (1748).

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا.

أي: وأطيعوا اللهَ تعالى، وأطيعوا رسولَه محمَّدًا – ﷺ – بفعلِ الأوامرِ، واجتنابِ النَّواهي؛ ومِن ذلك اجتنابُ تلك القَبائحِ، واحذروا من معصيةِ اللهِ تعالى، ومَعْصِيةِ رَسولِه – ﷺ –.

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

أي: فإنْ أنتم أعرضتُم عن طاعةِ الله تعالى وطاعةِ رسولِه – ﷺ –، فاعْلَموا إذنْ أنَّه ليس على مَن أرسَلْناه إليكم سِوى إبلاغِكم رسالةَ ربّكم بجَلاءٍ ووُضُوحٍ، وأمَّا إيقاعُ العقابِ بكم إذا تولَّيْتم عنها، فعلى الله تعالى وحْدَه.

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (93).

سَببُ النُّزول:

عن أنسٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنتُ ساقِيَ القومِ في مَنزلِ أبي طَلحةَ، وكان خمرُهم يومئذٍ الفَضيخَ[108] فأمَر رسولُ الله – ﷺ – مناديًا يُنادي: ألَا إنَّ الخمرَ قد حُرِّمت، قال: فقال لي أبو

(108) الفَضِيخ: هو شرابٌ يُتَّخذ من البُسْرِ المَفضوخ– أي: المَشْدوخ– وحْدَه، من غيرِ أن تَمسَّه النار.
ينظر: ((الصحاح)) للجوهري (429/1)، ((النهاية)) لابن الأثير (453/3).

طَلحةَ: اخرُجْ فأهرِقْها. فخرَجْتُ فهَرَقْتُها فجرَتْ في سِكَكِ المدينةِ، فقال بعضُ القَوْمِ: قد قُتِل قومٌ وهي في بُطونِهم؛ فأنزَلَ اللهُ: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا الآيَةَ)).[109]

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا.

أي: ليس على المؤمنينِ الذين يَعملون الأعمالَ الصالحة؛ إثمٌ فيما شَرِبوا وأَكَلوا ممَّا حرَّمَ اللهُ تعالى قبلَ نُزولِ تحريمِه ومعرفتِه، وذلك كالخمرِ التي كانوا يَشربونها، والقِمارِ الذي كانوا يَتعاطَوْنه.

إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

أي: يُنفَى عنهم الإثمُ بشَرْط أن يَجتنبوا ما حرَّمَ اللهُ تعالى، ومِن ذلك ما حرَّمَ عليهم من مَطعوماتٍ، ويُؤمنوا باللهِ تعالى إيمانًا صحيحًا، يَدعوهم إلى اكتسابِ الأعمالِ الصَّالحات.

ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا.

أي: ثم استمرُّوا على اجتنابِ ما حُرِّمَ عليهم، وثَبَتوا واستمرُّوا على الإيمانِ به سبحانه، دون أن يُغيِّروا أو يُبدِّلوا.

ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا.

أي: ثمَّ داوَمُوا على اجتنابِ المحرَّماتِ، حتى دعاهم ذلك إلى بُلوغِ الإحسانِ في فِعل الطَّاعاتِ.

---

(109) رواه البخاريُّ (2464) واللفظ له، ومسلم (1980).

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

أي: والله تعالى يحِبُّ المحسنِينَ في عِبادتِه، الذين يَعبُدونه سبحانه كأنَّهم يَرونَه، المحسنِين في نَفْعِ عِبادِه.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (94–96)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (95)

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (96)

غريب الكلمات:

النَّعَمِ: أي: الإبل والبَقر والغنَم، وأصلُ (نعم): يدلُّ على ترفُّه وطِيب عَيشٍ وصلاحٍ.

ذَوَا عَدْلٍ: أي: عَدلانِ بيِّنَا العدالةِ، والعدالةُ هي الاستقامةُ على طريقِ الحقِّ بالاجتنابِ عمَّا هو محظورٌ دِينًا، وأصل (عدل): يدلُّ على استواءٍ.

هَدْيًا: جمْع هَدْيَةٍ، وهو هنا مختصٌّ بما يُهدَى إلى البيتِ مِن الأنعامِ، وأصلُ (هدي): يدلُّ على مَا أُهدِيَ مِن هَديَّةٍ إلى ذي مودَّةٍ، ويدلُّ على التَّقدُّمِ للإرشادِ.

عَدْلُ ذَلِكَ: أي: مِثلُه، أو مَا يُعادلُه، وأصلُ (عدل): يدلُّ على استواءٍ.

وَبَالَ أَمْرِهِ: أي: جزاءَ ذَنبِه، أو ثِقْلَ فِعلِه، أو عاقبةَ أمْره مِن الشرِّ، والوَبَال: الوخامةُ، وسوءُ العاقبة، وأصل (وبل): يدلُّ على شِدَّةٍ في شيءٍ، وتجمُّع.

مَا سَلَفَ: أي: الذي مضَى وتَقدَّم، والسَّلفُ: المتقدِّم، وأصل (سلف): يدلُّ على تقدُّم وسَبْق.

صَيْدُ الْبَحْرِ: أي: ما صِيدَ من السَّمكِ، والصيدُ هنا يُرادُ به المَصيدُ، أو: ما يُصطادُ منه طريًّا.

وَلِلسَّيَّارَةِ: أي: المسافِرين، وأصلُ (سير): يدلُّ على مُضيٍّ وجريانٍ.

تُحْشَرُونَ: تُجمَعون وتُساقون، والحشرُ: الجمْعُ مع سَوْقٍ، أو الجمعُ بكثرةٍ، وكلُّ جمْعٍ حشْرٌ، والحشر أيضًا: البعثُ والانبعاثُ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ.

أي: يا أيُّها المؤمنون، لَيَختبِرَنَّكم اللهُ تعالى، ويَمتحِنَنَّ إيمانكم ببعضِ الصَّيد المحرَّمِ الذي تَقدِرونَ على أخْذِه بأيديكم ورِماحِكم، وذلك حالَ إحرامِكم بحَجٍّ أو عُمرةٍ.

لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ.

أي: أقامَ اللهُ تعالى هذا الابتلاءَ؛ ليَعلمَ عِلمًا ظاهرًا للخَلْقِ، يَترتَّبُ عليه الثوابُ والعِقابُ، مَن يخافُ اللهَ تعالى ولم يَرَهُ، ومَن يَخافُ اللهَ تعالى في حالِ غِيابِه عن النَّاسِ، فيُطيع ربَّه عزَّ وجلَّ، ويَجتنب معصيتَه سرًّا وجهرًا، وهو لا يَراه ولا يُعايِنُه.

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ [الملك: 12].

فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أي: فمَن تجاوَزَ حدَّ اللهِ عزَّ وجلَّ بعدَ حُكمِ تحريمِ الصَّيدِ عليه حالَ إحرامِه، فخالَفَ شرْعَ اللهِ تعالى في ذلك؛ فله عذابٌ مؤلِمٌ مُوجِع.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (95).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ.

أي: يا أيُّها المؤمنون، إيَّاكم أن تَقْتُلوا صيدَ البرّ وأنتم مُحْرِمون بحجٍّ أو عمرةٍ، أو كنتم داخِلَ منطقةِ الحَرَم.

وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ.

أي: وكلُّ مَن قتَلَ منكم صَيدًا، مُتعمِّدًا قتْلَه، فيجبُ عليه أنْ يَذبحَ مِثلَه من بهيمةِ الأنعامِ: الإبلِ، والبقر، والغنم، ويَتصدَّقَ به عِوضًا عمَّا قتَلَه.(110)

---

(110) اخْتُلِفَ في صفة العمد الموجب للكفارة والجزاء على قولين: الأول: أن يتعمد قتله ذاكرًا لإحرامه.

الثاني: أن يتعمد قتله ناسيًا لإحرامه.

وقد رجَّح ابنُ جرير (٨/٦٧٨-٦٧٩) مستندًا إلى عموم ظاهر الآية أنّ العامدَ والناسيَ في ذلك سواء،

ونسب ابنُ كثير (٥/٣٥٨) هذا القول للجمهور، وذكر من مُرَجّحاته قوله: «فإنّ قتلَ الصيد إتلافٌ، والإتلاف مضمون في العمد وفي النسيان، لكن المتعمد مأثوم، والمخطئ غير ملوم».

يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ.

أي: يُقدِّرُ ذلك الجزاءَ الواجبَ، اثنانِ عدلانِ منكم- أيُّها المؤمنون- من ذوي الاستقامةِ والمروءةِ، يَعرِفان الحُكمَ، ووجهَ الشَّبَهِ.

هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ.

أي: هذا الهدْيُ يَنبغي أنْ يكونَ واصلًا إلى الحرَمِ، فيُذبحَ فيه، ويُوزَّعَ لحْمُه على مساكينِه.

أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ.

أي: وله- عوضًا عن ذَبْحِ الهَدْيِ المماثِلِ- أنْ يكفِّرَ عن ذَنبِه بإطعامِ مساكينَ.

أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا.

أي: وله أيضًا أنْ يَختارَ للجزاءِ صِيامَ ما يُعادِلُ إطعامَ المساكينِ، فيصومَ عن إطعامِ كلِّ مِسكينٍ يومًا.

لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ.

أي: أوْجَبْنا الجزاءَ المذكورَ على قاتِلِ الصَّيدِ المنهيِّ عن قتلِه؛ ليذوقَ عقوبةَ ذَنبِه الذي ارتكبَه بإلزامِه بما يُتعِبُه، ويشقُّ عليه.

عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ.

أي: تجاوزَ اللهُ تعالى عن قتْلِكم الصيدَ، وأنتم حُرُمٌ، قبلَ تحريمِ ذلك عليكم، فلا يُؤاخِذكم به.

وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ.

أي: ومَن فعل ذلك بعد تحريمِه، وبُلوغِ الحُكم الشرعيّ إليه، فإنَّ الله تعالى يَأخُذُه بعقوبةٍ.

وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ.

أي: واللهُ تعالى مَنيعٌ في سُلطانه، غالبٌ على أمْرِه، لا يَقهرُه قاهرٌ، ولا يَمنعُه من الانتقامِ مانعٌ، ذو معاقبةٍ لِمَن عصاه سبحانه.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (96).

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ.[111]

---

(111) اخْتُلِفَ في معنى: ﴿وطَعامُهُ﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: ما قذف به إلى ساحله ميِّتًا.
الثاني: المليح من السمك.
الثالث: طعامه: ما فيه.
ورجَّح ابنُ جرير (٨/٧٣٤-٧٣٥) القولَ الأولَ.

أي: أباحَ اللهُ تعالى لكم مُطلقًا في حالِ حِلِّكم وحَرَمِكم- أيُّها المؤمنون- أَكْلَ صيدِ البحرِ، وهو ما أخذتُموه من حيواناتِه حيًّا، وطعام البحرِ، وهو ميتتُه التي لفَظَها أو طفَتْ عليه، أو انحسر عنها.

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ.

أي: منفعةً لكم- أيُّها المخاطَبون- فتنتفعون به أَكْلًا وبَيعًا، ومنفعةً أيضًا للمسافرينَ يَتزوَّدونَ به في سَفرِهم، ويَجلِبونه بضاعةً إلى الأمصارِ في تَرحالِهم.

وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا.

أي: وحرَّمَ اللهُ تعالى عليكم- أيُّها المؤمنون- أخْذَ الحيوانِ البريِّ في حالِ إحرامِكم.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

أي: واتَّقوه سبحانه بفِعلِ ما أمَر، وترْكِ ما نَهى، واستَعِينوا على تقواه بعِلمِكم أنَّكم إليه راجعونَ، فيُجازِيكم في آخرتِكم ثوابًا أو عقابًا على ما قدَّمتُم في دُنياكم.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (97–100)

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ **(97)**

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ **(98)**

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ **(99)**

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ **(100)**

غريب الكلمات:

قِيَامًا: أي: قِوامًا لهم، يقومُ به معاشُهم ومعادُهم، ودِينهم ودُنياهم وأمْنُهم، وأصلُ (قوم): مراعاةُ الشيءِ والحفظُ له، والانتصابُ والعزمُ.

وَالْقَلَائِدَ: أي: ما قُلِّد من الهَدْيِ، وكانوا يُقلِّدون البعيرَ مِن لِحاءِ شَجرِ الحرَمِ، فيأمَن بذلك حيثُ سلك، والقَلْد الفَتْل، وأصل (قلد): يدلُّ على تعليقِ شيءٍ على شيءٍ وليِّه به، وعلى حَظٍّ وَنَصِيبٍ.

أُولِي الْأَلْبَابِ: أي: أصحاب العُقولِ السَّليمة، ومفرد ألباب: لُبٍّ، وأصل اللُّبِّ: الخُلوصُ والجودةُ، والشَّيءُ المنتقى.

تفسير الآيات:

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97).

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ.

أي: صيَّر اللهُ تعالى حرَمَه قِوامًا للنَّاس، تقومُ به مصالحُ دِينهم، من صلاةٍ وحجٍّ وعمرةٍ، وغير ذلك، وتقومُ به أيضًا مصالحُ دُنياهم؛ بما يُجبَى إليها من ثمراتِ كلِّ شيءٍ رزقًا من عند اللهِ تبارَك وتعالى، وبما يَحصُل فيه مِن الأمْنِ، وبما يَحصُل فيه مِن اجتماعٍ للمسلمينَ، فيتعارَفون، ويتعاونون، ويتشاورونَ في مصالحِهم الدِّينيَّة والدُّنيويَّة.

وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ.

أي: وصَيَّرَ اللهُ تعالى الأشهُرَ الحُرمَ قِوامًا للناسِ، تقومُ فيها مصالحُهم بما جَعَل الله تعالى فيها من الأمْنِ بتحريمِ القِتال والظُّلمِ فيها.

وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ.

أي: صيَّرَ اللهُ تعالى الهدْيَ الذي يُهدَى إلى الحرمِ مِن إبلٍ أو بقرٍ أو غنمٍ تقرُّبًا إلى اللهِ تعالى، والقلائدَ- وهي الهَدْيُ الذي تُجعَلُ له قلائدُ في عُنقه؛ إظهارًا لشعائرِ الله تعالى، ولغيرِ ذلِك من أسباب

- صيَّرها الله سبحانه قِوامًا للنَّاس في دِينِهم بالثوابِ الذي يَنالونه مِن الله تعالى، وفي دُنياهم بالبيعِ والشِّراءِ والأَكْل والانتفاعِ بالجلودِ، وغير ذلك.

ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.

أي: إنَّ تصييرَه سبحانه الكعبةَ البيتَ الحرامَ والشَّهرَ الحرامَ والهديَ والقلائدَ قيامًا لكم- أيُّها الناس- كي تَعلموا أنَّ الله سبحانه يَعلمُ جميعَ ما في السَّموات وجميعَ ما في الأرض، ومِن ذلك عِلمُه بما يَصلُحُ لكم مِن مصالحَ دِينيَّةٍ ودُنيويَّة.

وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

أي: ولِتَعلموا أيضًا أنَّه لا يَخفى عليه شيءٌ، ومِن ذلك أعمالُكم، فيُجازيكم بها.

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (98).

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

أي: اعْلموا- أيُّها الناس- أنَّ ربَّكم شديدُ الأخْذِ بالذنبِ إذا عاقَب مَن عصاه.

وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: واعْلَموا أيضًا أنَّه يَستُر ذُنوبَ مَن تاب إليه مِن عِبادِه، ويتجاوزُ عن مؤاخذتِه بها، رحيمٌ سبحانه، ومِن رحمتِه بعبادِه أنَّه لا يُكلِّفهم ما يشقُّ عليهم، وأنَّه يقبلُ توبتَهم إذا تابوا إليه.

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (99).

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.

ليسَ على محمَّدٍ – ﷺ – الذي أرْسلناه إليكم– أيُّها الناسُ– سوى أداءِ رِسالتِنا إليكم، وأمَّا ما عدَا ذلك فليس له مِن الأمرِ شيءٌ.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ.

أي: إنَّ أعمالَكم ليستْ مُوكَلةً إلى الرَّسولِ – ﷺ –، وإنَّما الذي يُجازيكم بها هو اللهُ تعالى وحْدَه، الذي يَعلمُ جميعَ ما تُظْهرونَه، وجميعَ ما تُخفونه.

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100).

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ.

أي: قلْ– يا محمَّد– للنَّاس: لا يَستوي الخبيثُ والطيّب من كلِّ شيءٍ؛ مِن أشخاصٍ وأعمالٍ وغيرِ ذلك، فلا يَستوي المؤمنُ والكافرُ، ولا تَستوي الطاعةُ والمعصيةُ، ولا يَستوي الحلالُ والحرام.

وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ.

أي: فلا تَعجبنَّ– أيُّها الإنسانُ– مِن كثرةِ الخبيث مِن أيِّ شيءٍ كان، فلا تُعجبْك كثرةُ مَن يَعصي الله؛ فإنَّ الفلاحَ لأهلِ الطاعةِ وإنْ قلُّوا، والقليلُ الحلالُ النافع خيرٌ من الكثيرِ الحرام الضارِّ.

قال تعالى: وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ [البقرة: 221].

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

أي: يا أصحابَ العقولِ الصَّحيحةِ الرَّاشدة، اتَّقوا اللهَ سبحانه بامتثالِ ما أمرَكم به، واجتنابِ ما نهاكم عنه؛ كي تَظفَروا بما تأمُلون، وتَنجُوا ممَّا تحذرون في الدُّنيا والآخِرة.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (101–105)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ **(101)**

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ **(102)**

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ **(103)**

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ **(104)**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ **(105)**

غريب الكلمات:

تَسُؤْكُمْ: أي: تَحْزُنْكم وتَغُمَّكم، والسوءُ مصدرُ ساء، وهو اسمٌ جامعٌ للآفات، ويُستعملُ في كلِّ ما يُستقبَحُ، وهو أيضًا كلُّ ما يغمُّ الإنسانَ.

بَحِيرَةٍ: هي الناقةُ التي إذا نُتِجتْ خَمسةَ أبطُنٍ شقُّوا أُذُنَها، وحُرِّمتْ على النِّساءِ، ويُمنَح دَرُّها للطواغيتِ؛ فلا يَحْلُبها أحدٌ مِن النَّاس، والبَحيرة الفَعيلةِ، مِن قول القائل: بحرتُ أُذن هذه النَّاقةِ إذا شَقَّها، وأصل (بحر): يدلُّ على الانبساطِ والسَّعَة.

سَائِبَةٍ: السَّائبةُ هي الأُنثَى من النَّعم الَّتي كان يُسيِّبُها الكُفَّارُ لطَواغيتِهم؛ فلا يُحمَل عليها شيءٌ، أو التي تُسيَّب في المرعَى؛ فلا تُردُّ عن حَوضٍ ولا عَلفٍ، وكان الواحدُ مِنهم يُسيِّبها بنَذْرٍ؛ إنْ سُلِّم مِن مَرضٍ، أو بُلِّغ مَنزلَه أنْ يَفعَلَ ذلك، وأصل (سيب): يدلُّ على استِمرارِ شيءٍ وذَهابِه.

وَصِيلَةٍ: الوَصيلةُ هي: الأُنثى من النَّعَمِ إذا ولَدَتْ سَبعةَ أَبطُنٍ، نظَروا؛ فإنْ كان السَّابعُ ذَكَرًا ذُبح، فأَكَل مِنه الرِّجالُ والنِّساءُ، وإنْ كان أُنثى تُرِكتْ، وإنْ كان ذَكَرًا وأُنثى قالوا: قد وَصَلَتْ أخاها، فلم تُذبَح بَدَفْعِها عنه الذَّبحَ، وكانتْ لحومُها حَرامًا على النِّساءِ، ولبَنُ الأُنثى حَرامًا على النِّساءِ إلَّا أنْ يَموتَ منهما شيءٌ فيأكلَه الرِّجالُ والنِّساءُ.

حَامٍ: الحامِي هو: الفَحلُ من النَّعَمِ إذا نُتجَ مِن صُلبِه عَشرة أبطُنٍ، كان يُقال: حمَى ظَهرَه؛ فيَتركونَه للطَّواغيتِ، ويُحمَى مِن الحَمْلِ والرُّكوبِ عليه والانتفاعِ به؛ بسَببِ تتابُعِ الأولاد مِن ضِرابِه، وأصل (حمي) يدلُّ على الدَّفْعِ والمَنْعِ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101).

سَببُ النُّزولِ:

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضِي اللهُ عنه، قال: ((بلَغ رَسولَ اللهِ - ﷺ - عن أصحابِه شيءٌ، فخطَب فقال: عُرِضَتْ عليَّ الجَنَّةُ والنار، فلمْ أرَ كاليومِ في الخيرِ والشرّ، ولو تَعلمونَ ما أعلمُ لضَحِكتُم قليلًا ولبَكَيتُم كثيرًا! قال: فما أتَى على أصحابِ رسولِ الله - ﷺ - يومٌ أشدُّ منه، قال: غطَّوْا رُؤوسَهم ولهم خَنينٌ،[112] قال: فقام عُمَرُ فقال: رَضِينا باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا. قال: فقام ذاك الرجلُ، فقال: من أبي؟ قال: أبوك فلان. فنزَلَت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ [المائدة: 101])).[113]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.

أي: لا تَسألوا- أيُّها المؤمنون- عن أشياءَ لو أُظْهِر جوابُها لكم لساءَكم وشقَّ عليكم.

(112) الخَنين: نوعٌ مِن البكاء دون الانتحابِ، وأصلُ الخَنين خروجُ الصوتِ من الأنف، كالحنين مِن الفمِ.
يُنظر: ((الصحاح)) للجوهري (2109/5)، ((النهاية)) لابن الأثير (85/2).
(113) رواه البخاري (7295)، ومسلم (2359) واللفظ له.

عن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((أيُّها النَّاسُ، قد فَرَض اللهُ عليكم الحجَّ فحُجُّوا، فقال رجلٌ: أكُلَّ عامٍ يا رسولَ اللهِ؟ فسكَت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسولُ اللهِ – ﷺ –: لو قلتُ: نعمْ، لوجبَت، ولَمَا استطعتُم، ثم قال: ذَروني ما تركتُكم؛ فإنَّما هلَك مَن كان قبلكم بكثرةِ سؤالِهِم واختلافِهِم على أنبيائِهم، فإذا أمرتُكم بِشَيءٍ فَأْتُوا منهُ ما استطعتُم، وإذا نَهيتُكم عن شيءٍ فدَعوهُ)).(114)

وعن سَعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضِي الله عنه، أنَّ النبيَّ – ﷺ – قال: ((إنَّ أعظمَ المسلِمين في المسلِمين جُرمًا: مَن سألَ عن شيءٍ لم يُحرَّم على المسلمينَ، فحُرِّم عليهم مِن أجلِ مسألَته)).(115)

وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ.

أي: ولكنَّكم إنْ سألتُم عن أشياءَ بعدَ نُزولِ القرآنِ عليكم بها، كالسُّؤالِ عن آيةٍ أَشكلتْ، أو حُكمٍ خَفِيَ وجهُهُ عليكم وغير ذلك، فهنا قدْ وافَق سؤالُكم محلَّه، فيُبيَّن لكم ما سَألتم عنه.

عَفَا اللَّهُ عَنْهَا.

قيل: المعنى: عفا الله عمَّا كان منكم مِن سؤالٍ عن تلك الأشياءِ التي نهاكم اللهُ تعالى عن السُّؤال عنها، فلا يُعاقِبُكم عليها.

(114) رواه مسلم (1337).
(115) رواه البخاري (7289)، ومسلم (2358) واللفظ له.

وقيل: المرادُ أنَّ اللهَ تعالى وإنْ نهاكم عن المسألةِ إلَّا أنَّه عفا عنكم السؤالَ حين يَنزِلُ القرآنُ، فأذِنَ لكم بذلك.

وقيل: المرادُ أنَّ ما لم يَذكُرْه الله تعالى في كتابِه فهو ممَّا عفا عنه، وأباحه لكم؛ فاسكُتوا أنتم عنه كما سكَتَ عنه سبحانه.

وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ.

أي: واللهُ تعالى غفورٌ يستُرُ ذُنوبَ عِبادِه، ويتجاوَزُ عن مؤاخذتِهم بها، وهو الحليمُ سبحانه فلا يُعاجِلُ عِبادَه بالعقوبةِ، كما قال عزَّ وجلَّ: وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا [فاطر: 45].

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102).

أي: قد سألَ هذه المسائلَ المنهيَّ عنها أناسٌ سَبقوكم، فأُجيبوا عنها لكنَّهم لم يُؤمنوا بها، ولم يَعمَلوا بها؛ لأنَّهم لم يَسألوا عنها على وجهِ الاسترشادِ، بل على وجهِ التعنُّتِ والعِناد، فصاروا بسببِها كفَّارًا.

عن أبي هُرَيرَةَ رضِي اللهُ عنه أنَّ رسولَ الله – ﷺ – قال: ((ذَروني ما تركتُكم؛ فإنَّما هلَك مَن كان قَبلَكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتُوا منهُ ما استطعْتُم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فدَعُوه)).[116]

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103).

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ.

أي: لم يأذنِ اللهُ تعالى مطلقًا بأنْ يُفعَل بالأنعامِ شيءٌ ممَّا ابتدَعَه الكفَّار، فلم يَشرَعْ لهم البحيرةَ: وهي ناقةٌ يشقُّون أُذُنَها، ثم يُحرِّمون رُكوبَها ويَروْنَها محترَمَةً. ولا السَّائبةَ: وهي ناقةٌ، أو بقرةٌ، أو شاة، تُسيَّب وتُخلَّى؛ فلا تُركَبُ ولا يُحمَل عليها، ولا تُؤكَل ولا يُنتفَع منها بشيءٍ. ولا الوصيلةَ: وهي التي تُحرَّم أو تُجعل لآلهتهم. ولا الحاميَ: وهو جملٌ يُحمَى ظهرُه عن الركوب والحَمْل.

وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ.

أي: لم يَشرعِ اللهُ هذه الأشياءَ، وليستْ هي عندَه بقُربةٍ، ولكن الكُفَّار هم الذين يَفعلون ذلك بغيرِ دليلٍ، ويَفترُون على اللهِ تعالى الكَذِبَ.

---

(116) رواه مسلم (1337).

وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

أي: وأكثرُ هؤلاءِ الكفَّار لا يَملِكون عَقْلًا صحيحًا راشدًا، وإنَّما يَنساقونَ إلى تلك الشرائعِ الباطلةِ بجهلِهم، متَّبعين في ذلك أكابرَهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (104).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ.

أي: وإذا قِيل لهؤلاءِ الذين وقَعوا في تحريمِ ما أحلَّ الله تعالى: هلَمُّوا وأقْبِلُوا إلى كتابِ الله عزَّ وجلَّ وإلى رسولِه عليه الصَّلاة والسَّلام؛ ليتبيَّنَ لكم شَرعُ اللهِ سبحانه، وما أوجبَه وما حرَّمه، وبُطلانُ ما ابتدَعتُم.

قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا.

أي: قالوا جوابًا على مَن دَعاهم إلى ذلك: يَكفينا ما وجَدْنا عليه مَن قَبْلَنا مِن الآباءِ والأجدادِ مِن طرائقَ ساروا عليها، ونحن لهم تبَعٌ في ذلك.

أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ.

أي: أيتَّبِعون آباءَهم حتى لو كانوا على هذه الحالِ التي لا يَستحقُّون أنْ يُتَّبعوا فيها؛ إذ لا يَحمِلون عِلمًا بشريعةِ الله تعالى، ولا يَعمَلون على وَفْقِها عمَلًا صالحًا؛ فكيفَ يتَّبعونَهم ومِثْلُهم لا يصلُحُ أنْ يُقتدَى بهم؟!

كما قال سبحانه: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ [البقرة: 170].

وقال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ [لقمان: 20-21].

وقال جلَّ وعلا: إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ [الصافات: 69-70].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ.

أي: يا أيُّها المؤمنون ألْزِموا أنفسَكم العملَ بطاعةِ الله تعالى، وترْكَ معصيتِه؛ فإنَّه لا يَضرُّكم مَن سلَك غيرَ سبيلِ الحقِّ، إذا أنتم استقمتُم على صراطِ الله تعالى فآمنتُم بربِّكم وأطعْتُموه، ومِن ذلك:

قِيامُكم بواجبِ أمْرِ الناسِ بالمعروفِ، ونهيِهم عن المنكرِ، ولا ضيرَ عليكم بعدَ ذلك إنْ تمادَوْا في غيِّهم وضلالِهم، ما دُمتُم قد أدَّيْتُم حقَّ الله تعالى فيهم.(117)

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

أي: إنَّ مآلَكم في الآخرةِ إلى الله تعالى وحْدَه، وسوف يُخبرُكم بما قدَّمتموه في الدُّنيا من خيرٍ أو شرٍّ؛ فإنَّه لا يَخفَى عليه شيءٌ من أعمالِكم، ويُجازيكم عليها ثوابًا أو عقابًا.

---

(117) اخْتُلِفَ في معنى قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ﴾ على أقوال: الأول: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُقْبَل منكم.

الثاني: أن العبد إذا عمل بطاعة الله لم يضره من ضل بعده وهلك.

الثالث: لا يضركم من حاد عن قصد السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب.

الرابع: عُني بذلك كل من ضل عن دين الله الحق.

وقد رجَّح ابنُ جرير (٩/٥٤) القول الثالث.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (106–108)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ **(106)**

فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ **(107)**

ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ **(108)**

غريب الكلمات:

شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ: الشَّهادةُ قولٌ صادرٌ عن عِلمٍ حَصَل بمشاهدةِ بصيرةٍ أو بَصرٍ، وأَصْلُ (شهد): يَدُلُّ على حُضورٍ وعِلْمٍ وإعلامٍ.

الْوَصِيَّةِ: الوصيةُ هي: التقدُّمُ إلى الغيرِ بما يَعملُ به مُقترنًا بوعظٍ؛ من قولهم: أرضٌ واصِيَةٌ: مُتَّصلةُ النباتِ قد امتلأتْ منه، ووصيتُ الشيءَ: وصلتُه، وأصل (وصي) يدلُّ على وصلِ شيءٍ بشيء.

ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ: أي: ذهبتُم فيها؛ للتجارةِ وغيرِها من السَّفَر، وأصلُ الضَّربِ معروفٌ، وتُستعارُ منه مَعانٍ كثيرةٌ.

تَحْبِسُونَهُمَا: تُوقفونهما، وأصلُ الحبس: المنعُ مِن الانبعاثِ.

عُثِرَ: أي: ظَهَر، واطُّلِع منهما، وأصل (عثر): الوقوعُ على الشيءِ والسُّقوط عليه، ثم يُستعمَلُ ذلك في كلِّ واقعٍ على شَيءٍ كان عنه خفيًّا، ويُتجوَّز به فيمَن يَطَّلِع على أمْرٍ مِن غيرِ طَلَبِه، وإنَّما قِيل (عُثِرَ) مِن الاطِّلاعِ على الشَّيءِ؛ لأنَّ كلَّ عاثرٍ فلا بدَّ أن يَنظُرَ إلى موضعِ عَثْرتِه.

اسْتَحَقَّا إِثْمًا: أي استوجبَا جنايةً باليمينِ الكاذبةِ التي أقدَمَا عليها وحَلفَا بها؛ يُقال: استحقَّ فلانٌ الأمرَ: استوْجَبَه، وحقَّ الشيءُ إذا وجَب وثبَت.

أَدْنَىٰ: أي: أقربُ، والدُّنو: القُربُ بالذَّات أو بالحُكم، ويُستعمَلُ في المكانِ والزَّمان والمنزِلة.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (106).

سَببُ النُّزول:

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: ((خرَج رجلٌ من بَني سَهْمٍ مع تَميمٍ الدَّاريِّ وعَديِّ بنِ بَدَّاءٍ، فماتَ السَّهْميُّ بأرضٍ ليس بها مسلمٌ، فلمَّا قدِمَا بترِكتِه فقَدُوا جامًا مِن فِضَّةٍ مُخوَّصًا من ذهبٍ،[118] فأَحْلَفَهما رسولُ الله – ﷺ –، ثم وُجِد الجامُ بمكَّةَ، فقالوا: ابْتعْناهُ من تميمٍ وعديٍّ، فقام رجلانِ من أوليائه، فحلَفَا: لَشهادتُنا أحقُّ من شهادتِهما، وإنَّ الجامَ لِصَاحبِهم، قال: وفيهم نزلتْ هذه الآيةُ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ)).[119]

---

(118) الجامُ: إناءٌ من فِضَّةٍ، عربيٌّ صحيحٌ، ومُخوَّصًا: أي عليه صفائحُ الذَّهبِ مِثْل خُوصِ النَّخل.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (87/2)، ((تاج العروس)) للزبيدي (429/31).
(119) رواه البخاري (2780).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، إذا حضَر أحدَكم مُقدِّماتُ الموتِ وعلاماتُه، فكتَب وصيَّتَه، فلْيَشهدْ عليها اثنانِ من المؤمنين، مِن ذَوي الاستقامةِ والمروءة.

أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ.

أي: أو لِيَشهدْ على الوصيةِ آخَرانِ من غيرِ أهل مِلَّتكم– أيُّها المؤمنون– سواءٌ من اليهود أو النَّصارى أو غيرِهم، إنْ لم يوجدْ ذَوَا عدلٍ منكم، وفي حالِ سَفرِكم، وإيقانِكم بحضورِ أجلِكم.

تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى.

أي: فتُوقفونَ الشاهدَينِ اللَّذيْنِ من غيرِكم بعدَ صلاةِ العَصْرِ، وتَجْعلونَهما يحلفانِ باللهِ تعالى، إنْ شككتُم في شهادتِهما، وظهرتْ لكم منهما رِيبةٌ في أنَّهما قد خانَا، فيحلفانِ حينئذٍ باللهِ تعالى أنَّا لا نَبغِي بحَلِفنا هذا عَرَضًا من الدُّنيا فنكذبَ في شَهادتِنا، ولا نُحابي أحدًا، ولو كان المشهودُ عليه من أقربائِنا.

عن الشَّعبيِّ: ((أنَّ رجلًا حضرتْه الوفاةُ بدَقُوقَاءَ،(120) فلم يجِدْ أحدًا من المسلمين يُشْهِدُهُ على وصيَّتِه، فأَشْهَد رجُلينِ من أهل الكِتاب، فقدِما بتركتِه إلى أبي موسى الأشعريِّ، فأخبراه، فقال الأشعريُّ:

(120) دَقُوقَاء: مدينةٌ بين إربل وبغداد، لها ذِكرٌ في الأخبارِ والفُتوح، كان بها وقعةٌ للخوارج. ((معجم البلدان)) لياقوت (459/2).

هذا أمرٌ لم يكُنْ بعد الذي كان في عهدِ رسولِ الله – ﷺ –، فأحْلَفهما بعدَ صلاةِ العَصْرِ باللهِ ما خانَا، ولا كَذَبَا، ولا بدَّلَا، وإنَّها لترِكَتُه، ثم أجاز شهادتَهما)).[121]

وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ.

أي: ولا نُخفي عنكم الشَّهادةَ التي حمَّلَنا اللهُ تعالى إيَّاها على الوصيَّة، بتحريفِها أو تبديلِها، أو كِتمانِها بالكلِّيةِ؛ فإنَّا إنْ فعَلْنا شيئًا من ذلك وقَعْنا في الإثمِ مع الواقعينَ فيه.

فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (107).

فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا.

أي: فإنْ ظهَر أنَّهما كاذبانِ، فوُجِدَ أنَّهما قد خانَا مِن مالِ الميِّت شيئًا، أو بدَّلَا وصيَّته، فاستوجبَا بأيمانِهما الكاذبةِ إثمًا.

---

(121) أخرجه أبو داود (3605)، وعبد الرزَّاق في ((المصنف)) (15539)، والدارقطني في ((السنن)) (4341)، والحاكم في ((المستدرك)) (3224).

قال الحاكمُ (3224): صحيحٌ على شرْط الشَّيخين.

وصحَّح إسنادَه ابن كثير في ((التفسير)) (215/3)، والزيلعيُّ في ((تخريج الكشاف)) (428/1)، وقال ابن حجر في ((فتح الباري)) (483/5): إسنادٌ رجالُه ثقاتٌ.

وقال الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (204/9): صالحٌ للاحتجاج.

وقال الألباني في ((صحيح أبي داود)) (3605): إسنادُه صحيحٌ إنْ كان الشعبيُّ سمِعَه من أبي موسى.

فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ.

أي: فحينئذٍ يقومُ مقامَهما اثنانِ مِن أولياءِ الميّتِ المستحقّينَ للتركةِ، ولْيَكونا مِن أَوْلى مَن يَرِثُ هذا الميّتَ الذي شُهِدَ على وصيَّتِه.

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ثلاثُ قِراءات:

1- اسْتَحَقَّ بِفَتْحِ التَّاء والحاء، والْأَوْلَيَانِ مُثنَّى (أَوْلى)، رُفِع باسْتَحَقَّ على أنَّه فاعِلٌ.(122)

2- اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ، ومرفوع اسْتُحِقَّ ضميرُ الإيصاءِ أو الوَصِيَّةِ أو المالِ، أو الإثْمِ. والْأَوَّلِينَ جمْع (أَوَّل)، أي: المتقدِّم ذِكرُهم، أي: مِن الأوَّلِين الذين استُحِقَّ عليهم الإيصاءُ أو الإثمُ.(123)

3- اسْتُحِقَّ بِضَمِّ التَّاء وكَسْرِ الحاءِ على البِناءِ للمَفعولِ، والْأَوْلَيَانِ مرفوعٌ بـ استُحِقَّ على أنَّه نائِبٌ عَنِ الفاعِلِ.(124)

---

(122) قرأ بها حفص.

يُنظر: ((العشر)) لابن الجزري (ص: 227).

ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الكشف)) لمكي (420/1)، ((البحر المحيط)) لأبي حيان (397/4).

(123) قرأ بها حمزةُ وخلفٌ ويعقوب وأبو بكر.

يُنظر: ((العشر)) لابن الجزري (ص: 227).

ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الكشف)) لمكي (420/1)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (480/4).

(124) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((العشر)) لابن الجزري (ص: 227).

ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الكشف)) لمكي (420/1)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (475/4-476).

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ.

أي: فيَحلفانِ بأنَّ شهادتَنا أحقُّ مِن شهادتهما التي كذَبَا فيها وخانَا، وهي أصحُّ وأثبتُ، وما تجاوَزْنا الحقَّ في شهادتِنا، وإخبارِنا عن خيانتِهما؛ فإنَّا إنْ كذَبْنا عليهما نكونُ في عدادِ الظَّالمين، ونقتطعُ بذلك أموالَ النَّاس بغيرِ حقٍّ.

ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (108).

ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا.

أي: هذا الفِعلُ- مِن تحليفِ الشاهدَينِ إذا استُرِيب بهما- أقربُ لأن يَصْدُقوا في شهادتِهم، ويُقيموها على الوجهِ الصَّحيح، فلا يَكذِبوا ولا يَخونوا.

أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ.

أي: أو يَخافَ هؤلاءِ الشهودُ ألَّا تُقبلَ أيمانُهم إنْ ظهَرَ كذِبُهم وخيانتُهم، فترُدَّ الأيمانُ إلى الورثةِ، فيَحلِفونَ ويستحقُّون ما يَدَّعون، ويُفتضَح أمرُ شهودِ الوصيةِ بين النَّاس.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا.

أي: واتَّقوا اللهَ تعالى في جميعِ أُمورِكم، ومن ذلك: ترْكُ الحلِفِ بالله تعالى كذبًا، واجتنابُ خيانةِ الأمانةِ وغير ذلك، واسمَعوا ما يُقال لكم فاعْمَلوا به.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

أي: واللهُ تعالى لا يُوفِّق للحقّ الخارِجينَ عن طاعتِه، واتِّباعِ شريعتِه.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيتين (109–110)

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109)
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ
تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ
الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ
تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110)

غريب الكلمات:

بِرُوحِ الْقُدُسِ: أي: جبريلَ عليه السَّلام، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه يأتي بما فيه حياةُ القلوبِ، وأصل القُدس الطَّهارةُ.

الْمَهْدِ: أي: مَضْجَعِ الصَّبِيِّ فِي رَضاعِه، وما يُهيَّأ له، وأصلُه: التَّوطئةُ للشَّيءِ، وتَسهيلُه.

وَكَهْلًا: أي: ابن ثلاثين سَنةً، والكَهْل: الذي انتهَى شبابُه، ومَن وَخَطَه الشيبُ، والكهولةُ فوقَ الغلومة، ودونَ الشَّيخوخةِ، وأصل (كهل): القوَّة في الشَّيءِ، أو اجتماع الجِبلَّة.

وَالْحِكْمَةَ: أي: الفِقه، وتُطلَق الحِكمةُ على إصابةِ الحقِّ بالعِلم والعَمَل، وأصل (حكم): المنْع، والإحكامُ هو الفصلُ والتمييزُ، والفَرْقُ والتَّحديد الذي به يتحقَّقُ الشيءُ ويحصُل إتقانُه؛ ولهذا دخَل فيه معنى المنْع كما دخَل في الحدِّ، فالمنعُ جزءُ معناه لا جميعُ معناه، والحِكمة اسمٌ للعَقل، وإنَّما سُمِّي حِكمة؛ لأنَّه يمنع صاحبَه من الجهل.

وَتُبْرِئُ: وتَشْفِي، أصلُه من البُرء والبَراء والتبرِّي: وهو التفصِّي ممَّا يُكرَه مجاورتُه، والتباعُدُ من الشَّيءِ ومُزايلتُه، والمقصودُ هنا: السَّلامة من السُّقم.

الْأَكْمَهَ: الذي يُولَد أعْمَى، أو هو الذي يُولَد مَطموسَ العين، وقيل: هو الأعْمَى مطلقًا.

الْأَبْرَصَ: الذي به مرضُ البرَصِ، وهو مرضٌ معروفٌ يُصيب الجِلدَ، وهو لمعةٌ تُخالِفُ سائرَ لونِ الجلد.

بِالْبَيِّنَاتِ: جمْع بيِّنة، وهي: الدَّلالة الواضحة؛ يُقال: بانَ الشَّيء وأبان، إذا اتَّضح وانْكشَف.

تفسير الآيتين:

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109).

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ.

أي: اذكرْ يومَ يَجمَعُ الله تعالى جميعَ رُسُلِه عليهم الصَّلاةُ والسَّلام يومَ القيامة، فيسألُهم: ما الذي أجابتْكم به أُممُكم حين دَعوتُموهم إلى الحقِّ؟

كما قالَ تعالى: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ [الأعراف: 6].

قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

أي: قال الرُّسُلُ الكِرامُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلام: لا عِلْمَ لنا، ولا يَخفَى عليك يا ربَّنا ما عِندنا من عِلمِ ذلك وغيرِه؛ فأنت العَليمُ ببواطن الخَلْق، والمطَّلِعُ على كلِّ شيءٍ.[125]

---

(125) اختلف المفسرون في معنى قول الأنبياء: ﴿لا علم لنا﴾ على أربعة أقوال: الأول: لم يكن ذلك من الرسل إنكارًا، ولكنهم ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم، ثم أجابوا بعد أن ثابت إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم.

والثاني: لا علم لنا إلا ما علمتنا.

والثالث: معنى ﴿ماذا أجبتم﴾: ماذا عملوا بعدكم؟ وماذا أحدثوا؟

والرابع: قالوا لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا.

ورجَّح ابنُ جرير (١١٢/٩) القول الأخير وكذا رجَّحه ابنُ عطية (٢٩٤/٣).

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110).

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ.

أي: اذْكُرْ حين نادَى الله تعالى عيسى عليه السَّلام قائلًا له: اذكُرْ ما أَجريتُه عليكَ وعلى والدتِك مِنَ النِّعَم.

ثمَّ شرَع اللهُ تعالى يُفصِّل تِلك النِّعمَ، فقال:

إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ.

أي: حيثُ قوَّيتُك بجبريلَ عليه السَّلامُ، وأعنْتُك به.

تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا.

أي: تدْعُو النَّاسَ إلى اللهِ تعالى في حالِ صِغرِك وكِبَرِك.

وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ.

أي: واذكُرْ- يا عيسى- أيضًا نِعمَتي عليك إذْ علَّمتُك الخطَّ والكتابةَ، والفَهمَ ومعرفةَ أسرارِ الشَّرع، وعلَّمتُك التوراةَ والإنجيل.

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي.

أي: تُصوِّر الطِّينَ، وتَصنَعُ منه هيئةَ طائرٍ بإذني، فتنفخُ في تِلك الصُّورةِ التي شكَّلتَها، فتكونُ طائرًا ذا رُوحٍ بإذني.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ثلاث قراءات:

1-... كَهَيْئَةِ الطَّائرِ... فَتَكُونُ طَائرًا، أي: إنَّه كان يَخْلق واحدًا ثمَّ واحدًا.(126)

2-... كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ... فَتَكُونُ طَائرًا أي: تُقدِّر هيئةً كهيئةِ الطَّير، فتكونُ الهيئةُ طائرًا، أي: كلُّ هَيئةٍ تُقدِّرها تكونُ واحدًا مِن الطَّير.(127)

---

(126) قرأ بها أبو جعفر.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 187).

ويُنظر لمعنى القراءتين: ((معاني القراءات)) للأزهري (257/1)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 164).

(127) قرأ بها نافع ويعقوب.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 187).

ويُنظر لمعنى القراءتين: ((تفسير ابن عطية)) (258/2)، ((تفسير ابن عاشور)) (102/7).

3- ... كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ... فَتَكُونُ طَيْرًا، أي: إنَّ اللهَ تعالى أذِنَ له أن يَخلُقَ طيرًا كثيرةً، ولم يكن يَخلُقُ واحدًا فقط.(128)

وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي.

أي: وتَشْفِي مَن يُولَد أعْمى، ومَن به داءُ البَرَص الذي يُصيب الجِلدَ بإذنِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتُخرِجُ الموتَى من قُبورِهم أحياءً بإذنِ الله تبارَك وتعالى.

وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ.

أي: واذكُرْ- يا عيسى- أيضًا نِعمتي عليك، في صدِّي بني إسرائيلَ عنك، وقدْ همُّوا بقتْلِك حين جِئتَهم بالحُجج والبَراهينِ على رِسالتِك، فحَفِظتُك منهم وعصَمتُك.

فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

أي: فقال كفَّارُ بني إسرائيلَ: ما هذا إلَّا ساحرٌ ظاهرٌ ذُو سِحرٍ جليٍّ.

---

(128) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 187).

ويُنظر لمعنى القراءتين: ((معاني القراءات)) للأزهري (1/257)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 164).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: سِحْرٌ قِراءتان:[129]

1- قِراءة سَاحِرٌ- بالألِف على أنَّه اسمُ فاعلٍ- إشارةً إلى عِيسى عليه السَّلام.[130]

2- قِراءة سِحْرٌ- مِن غيرِ ألِفٍ على أنَّه مصدرٌ- إشارةً إلى ما جاءَ به عيسى عليه السَّلام من البيِّنات، أي: ما هذا الَّذي جاءَ به من الآياتِ الخَوارقِ إلَّا سِحرٌ.[131]

(129) قال ابنُ جرير: (والصوابُ من القول في ذلك: أنَّهما قِراءتانِ معروفتانِ صحيحتَا المعنى، متَّفقتانِ غير مُختلفتَينِ؛ وذلك أنَّ كلَّ مَن كان موصوفًا بفِعل السحر فهو موصوفٌ بأنَّه ساحر، ومَن كان موصوفًا بأنَّه ساحر فإنَّه موصوفٌ بفِعل السحر، فالفعل دالٌّ على فاعله، والصِّفة تدلُّ على موصوفها، والموصوف يدلُّ على صِفته، والفاعل يدلُّ على فعله، فبأيِّ ذلك قرأ القارئ فمصيب) ((تفسير ابن جرير)) (116/9).

(130) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 227-228).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (498/4).

(131) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 227-228).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 240)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (497/4).

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (111–115)

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ **(111)** إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ **(112)**

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ **(113)**

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ **(114)**

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ **(115)**

غريب الكلمات:

أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ: أي: قَذَفتُ في قلوبِهم، ويُطلَقُ الوحيُ والإيحاءُ على إلْقاءِ المعنى إلى صاحبِه، والإلهامِ، والإشارةِ والكِتابة؛ وأصلُ الوَحْي: يدُلّ على إلْقاءِ عِلمٍ في إخفاءٍ، وكلُّ ما ألْقَيتَه إلى غَيرِك حتَّى عَلِمَه فهو وَحْيٌ كيف كانَ.

والْحَوَارِيِّينَ: جَمْع حوارِيٍّ، وهمْ أصفياءُ عِيسى عليه السَّلام، وشِيعتُه وناصِرُوه، وخُلاصةُ أصحابِه، وشاعَ استعمالُه في الَّذين خَلَصوا، وَأَخْلصُوا فِي التَّصْدِيق بالأنبياءِ ونُصرتِهم؛ قيل: سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم كانوا يُحوِّرون الثِّياب، أي: يُبيِّضونَها، واشتقاقُهُ من حُرْتُ الثوبَ، أي: أَخْلَصْتُ بياضَه بالغَسْلِ، ومنه يُقال للدَّقيق الأبيضِ النَّقيّ: حُوَّارَى. وقيل: اشتقاقُه مِن: حارَ يحورُ: إذا رجَع، فكأنَّهم الرَّاجعونَ إلى اللهِ، وقيل: هو مُشتَقٌّ مِن نقاءِ القَلْبِ وخُلوصِه وصِدْقه.

عِيدًا: أي: يَومًا نُعظِّمه، ونَعبُد اللهَ ونُصلِّي له فيه، وهو اليومُ الذي نزَلَتْ فيه المائدةُ، والعيد: كلُّ ما يُعاوِدُ الإنسانَ مرَّةً بَعدَ أُخرَى، وأصل (عود): يدلُّ على تَثنيةٍ في الأمْرِ، ومنه العيدُ؛ لأنَّه يَعودُ كلَّ عامٍ، أو لأنَّه يُعادُ إليه أو لأنَّه اعتِيدَ.

تفسير الآيات:

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111).

وَإِذْ أَوْحَيْتُ[132] إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي.

أي: واذْكر أيضًا- يا عيسى- إذ يسَّرْتُ لك أتْباعًا وأنصارًا، فألهمتُ الخُلَّصَ مِن أصحابِك، وألقيتُ في قلوبِهم الإيمانَ بي وبرسولي.

قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ.

أي: قال الحواريُّون: آمنَّا بما وجَب علينا اعتقادُه بقلوبِنا، واشهدْ علينا بأنَّنا خاضِعونَ لله تعالى، طائِعون له بأعمالِنا.

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112).

---

(132) اختلف المفسرون في معنى ﴿أوحيت﴾ على قولين: الأول: ألهمتهم.

والثاني: قذفت في قلوبهم.

ورأى ابنُ جرير (٩/١١٦) تقارب المعاني بينهما، فقال: «وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وإذ أوحيت﴾، وإن كانت متفقة المعاني».

وذكر ابنُ كثير (٥/٤١٣) القول بكونه وحي إلهام، وجعل نظيرًا له قوله تعالى: «﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه [القصص:٧]، وقوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا﴾ [النحل:٦٨]».

ثم ذكر (٥/٤١٤) احتمالًا آخر في معنى الوحي غير الإلهام، والقذْف في القلب، فقال: «ويحتمل أن يكون المراد: وإذ أوحيت إليهم بواسطتك، فدعوتَهم إلى الإيمان بالله وبرسوله، واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك، فقالوا: ﴿آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾».

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ.

أي: اذكرْ حين قال الحواريُّون طلبًا لزيادةِ اطمئنانِ قُلوبِهم: يا عيسى ابنَ مريمَ، هل يفعَلُ ربُّك إذا سألتَه أن يُنزِّلَ علينا مائدةَ طعامٍ من السَّماءِ؟

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ قِراءتان:

1- قراءة (تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) على الخِطاب من الحواريِّين لعيسى عليه السلام، يعني: هل تَقدِر يا عيسى، أنْ تَسألَ ربَّك، وكان الأَصْلُ على هذه القِراءَةِ (هَلْ تستطيعُ سؤالَ رَبّك)، فحُذِفَ المضافُ (سُؤالَ)، وأُقيمَ المضافُ إليه (رَبّك) مُقامَه؛ فأخَذَ إعرابَه فنُصِبَ.[133]

2- قِراءة يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ، أي: هلْ يَفعلُ ربُّك؟ فلَفْظُه لفظُ الاستفهامِ، ومعناه معنى الطَّلَبِ والسُّؤالِ.[134]

---

(133) قرأ بها الكسائي.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 228).

ويُنظر في معنى هذه القِراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 240-241)، ((الكشف)) لمكي (420/1).

(134) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 228).

ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 135)، ((معاني القراءات)) للأزهري (343/1).

قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: قالَ عيسى عليه السَّلامُ للحواريّين: الْزَموا التَّقوى، ولا تَسألُوا هذا الأمرَ إنْ كنتُم مؤمنينَ حقًّا، وإذا كنتُم كذلك فما حاجتُكم إلى هذه المعجزةِ؟!

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113).

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا.

أي: قال الحواريُّون: إنَّما أَرَدْنا مِن سؤالِك ذلك، التشرُّفَ بالأكلِ مِن تلك المائدةِ، فنعلمُ يقينًا قدرةَ الله على كلِّ شيءٍ، وتسكُن بذلك قلوبُنا، ويَستقرُّ إيمانُها.

كما قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [البقرة: 260].

وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ.

أي: ونعلمَ يقينًا صِدقَك يا عيسى، وصِدقَ ما جئتَ به، ونشهدَ على أنَّ المائدةَ آيةٌ من عند الله عزَّ وجلَّ، وحُجَّةٌ لنا نُبلِّغها مَن لم يَشهَدْها.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114).

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا(135) لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا.

أي: دعَا عيسى عليه السَّلامُ ربَّه سبحانه مستجيبًا لطلبِ الحواريّين، فقال: اللهمَّ ربَّنا، أنزِلْ علينا مائدةَ طعامٍ من السَّماء، نتَّخِذُ وقتَ نزولها عيدًا نَعبُدك فيه، ونتذكَّرُها نحن ومَن بعدَنا.

وَآيَةً مِنْكَ.

أي: وتكونُ حجَّةً وعلامةً منك، يا ربِّ، على عبادِك، دالَّةً على وحدانيَّتك وصِفاتِك، وعلى صِدْقِ ما جئتُ به.

وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

أي: وأعْطِنا مِن عِندِك؛ فإنَّك يا ربِّ، خيرُ مَن يُعطي؛ فلا أحدَ أكرمُ منك.

---

(135) اخْتُلِفَ في تفسير قوله: ﴿عيدا﴾ على قولين: أحدهما: أنّ معناه: نتخذ يوم نزولها عيدًا نعظمه نحن ومَن بعدنا.والآخر: أنّ معناه: نأكل منها جميعًا.

وذكر ابنُ جرير قولًا ثالثًا ولم ينسبه: أنّ المعنى: عائدة من الله علينا وحجة وبرهانًا.

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ **(115)**.

أي: قال اللهُ تبارَك وتعالى: إِنِّي مُنزِّلها عليكم فمُطعِمكُموها، ولكن مَن وقَعَ منكم في الكفرِ بعدَ إنزالي هذه الآيةَ العظيمةَ، فإنِّي أُوقِعُ عليه عذابًا شديدًا، لا أُعذِّبه أحدًا من عالَمِي زمانِه.

سُورةُ المائِدَةِ

الآيات (116–120)

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ
سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ **(116)**

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ
فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ **(117)**

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ **(118)**

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ **(119)**

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ **(120)**

غريب الكلمات:

تَوَفَّيْتَنِي: أي: قبَضْتَني إليك؛ يُقال: تَوَفَّيْتُ الشيءَ واستوفيتُه: إذا أخذتَه كلَّه حتى لم تترك منه شيئًا، واستيفاءُ الشيءِ استقصاؤُه كلِّه، ومنه يُقال للميّت: توفَّاه اللهُ، وأصل (وفي): يدلُّ على إكمالٍ وإتمام.

الرَّقِيبَ: أي: الحافظَ، والعالمَ، والمطَّلِعَ، وأصل (رقب): انتصابٌ لمراعاةِ شيءٍ.

تفسير الآيات:

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116).

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

أي: واذكُرْ يا محمَّدُ حِينَ يقولُ اللهُ تعالى لعيسى عليه السَّلام يومَ القيامةِ بحضرةِ النَّصارى توبيخًا لهم: يا عيسى ابنَ مَريمَ، هل قُلتَ بنفسِك للنَّاس: اجْعَلوني أنا وأُمِّيَ معبودَينِ مِن دونِ اللهِ سبحانه وتعالى؟

قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ.

أي: قال عيسَى عليه السَّلامُ: أُنزِّهك يا ربِّ، عن هذا الأمرِ الذي لا يَليق بكَ، وما يَنبغي لي أنْ أدَّعِيَ ذلك؛ فما أنا وأمِّي إلَّا عَبْدانِ مِن عِبادِك.

إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ.

أي: إنْ كان قد صدَرَ منِّي هذا فقدْ عَلِمْتَه يا ربِّ؛ فإنَّه لا يَخفَى عليكَ شيءٌ ممَّا قلتُه.

تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ.

أي: وأنتَ تَعلمُ يا ربِّ، ما أضمرتُه في نفْسي ممَّا لم أنطقْ به؛ فكيفَ بما قد نطقتُ به؟ ولا أعلمُ أنا ما أَخفيتَه عنّي في نفْسِك، فلمْ تُطْلِعْني عليه؛ لأنِّي لا أعلمُ مِن الأشياءِ إلَّا ما أعلمتَنِيه؛ فأنت الربُّ الخالقُ، وأنا العبدُ المخلوق.

قال الله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ [ق: 16].

إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

أي: فأنتَ العالمُ بخَفيَّاتِ الأمورِ التي لا يَعلمُها سِواكَ.

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117).

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ.

أي: ما قلتُ لهم إلَّا الذي كلَّفْتني بإبلاغِه؛ فأنا عبدٌ متَّبعٌ لأمرك، لا مُتجرِّئٌ على عظمتِك، فمَا أمرتُهم إلَّا بعبادةِ الله تعالى وحْدَه، الذي هو ربِّي وربُّهم، فأنا عبدٌ مربوبٌ مِثلُهم.

وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ.

أي: كنتُ شاهدًا على أعمالِهم حِينَ كنتُ بين أظهُرِهم.

فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ.

أي: فلمَّا قبَضْتَني إليك كنتَ أنتَ المطَّلِعَ عليهم دُوني.

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: ((قامَ فينا رسولُ اللهِ - ﷺ - خطيبًا بموعظةٍ، فقال: يا أيُّها الناسُ، إنَّكم تُحشَرون إلى اللهِ حُفاةً عراةً غُرْلًا؛ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء: 104]، ألَا وإنَّ أوَّلَ الخَلائقِ يُكسَى يومَ القيامةِ إبراهيمُ عليهِ السلامُ، ألَا وإنَّهُ سيُجاءُ برِجالٍ من أُمَّتي، فيُؤْخَذ بهم ذاتَ الشِّمالِ، فأقولُ: يا ربِّ، أصحابي، فيقال: إنَّك لا تدري ما أحْدَثوا بعدَك، فأقول، كما قال العبدُ الصالحُ: وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة: 117- 118]، قال: فيقال لي: إنَّهم لم يزالوا مُرتدِّينَ على أعقابِهم منذُ فارقْتَهم)) وفي رواية: ((فيقال: إنَّك لا تَدْري ما أحْدَثوا بعدَك)).(136)

وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

أي: وأنتَ الذي تَشهَدُ على كلِّ شيءٍ، ولا يَخفى عليك شيءٌ، ثم تُجازي عبادَك بحسَب ما قدَّموه من خيرٍ وشرٍّ.

---

(136) رواه البخاري (3447)، ومسلم ((2860) واللفظ له.

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118).

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ.

أي: إنْ تُقدِّرْ لهم فِعلَ ما يَستحقُّون أن يُعذَّبوا عليه؛ لأنَّهم أهلٌ لذلك، فإنَّهم عبادُك، الذين أنتَ أرحمُ بهم من أنفسِهم وأمَّهاتِهم، وأعلمُ بأحوالِهم، فلولا أنَّهم عبادٌ مُتمرِّدون مستحقُّون للعذابِ لم تُعذِّبْهم، وهم عِبادٌ مستسلِمون لك طَوعًا أو كَرهًا؛ فلا يَقدِرون على الامتناعِ ممَّا أردتَ بهم، ولا يَدْفَعون عن أنفُسِهم ضرًّا يَحُلُّ بهم.

وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أي: وإنْ قدَّرتَ لهم أسبابَ المغفرةِ فغفرتَ لهم، فذلك صادرٌ عن تمامِ عِزَّتك (عِزَّة القَدْر والقهرِ والغَلبةِ والامتناعِ)، لا عنْ عجزٍ وذلٍّ وضَعْف؛ فإنَّك إن أردْتَ الانتقامَ منهم؛ فلا يقدِرُ أحدٌ أن يمنعَ عنك ذلك، لأنَّك العزيز، وصادرٌ أيضًا عن حِكمةٍ؛ فمِن مُقتضَى حِكمتِك أنْ تغفرَ لِمَن أتَى بأسبابِ المغفرةِ، فأنت الحكيمُ، تهدي مَن هدَيتَ مِن خَلقِك إلى التوبةِ، ونَيلِ مغفرتِك.

عن عبد اللهِ بنِ عَمرٍو رضي اللهُ عنهما: ((أنَّ النبيَّ - ﷺ - تلا قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ في إبراهيمَ: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ الآية، وقال عيسى عليه السَّلامُ: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فرفع يديهِ وقال: اللهُمَّ، أُمَّتي أُمَّتي، وبكَى! فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمَّدٍ- وربُّكَ أعلمُ- فسَلْهُ ما يُبكيكَ؟

فأتاهُ جبريلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فسَألهُ، فأخبرهُ رسولُ اللهِ – ﷺ – بما قالَ– وهو أعلمُ– فقال اللهُ: يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمَّدٍ فقلْ: إنَّا سنُرضِيكَ في أُمَّتكَ ولا نَسُوءُكَ)).(137)

وعن أبي ذرٍّ رضِي اللهُ عنه، قال: ((قامَ النبيُّ – ﷺ – بآيةٍ حتى أصبحَ يُردِّدُها، والآيةُ: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)).(138)

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119).

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ.

أي: قال اللهُ تعالى مُجيبًا لعيسى عليه السَّلام: يومُ القيامةِ هذا هو الوقتُ الذي يَجِدُ فيه الصَّادِقون– الذين استَقامتْ أعمالُهم وأقوالُهم على الصِّراطِ المستقيمِ، فأَخْلَصوا للهِ تعالى واتَّبعوا شَرْعَه فيها– ثمرةَ صِدْقِهم.

---

(137) رواه مسلم (202).

(138) أخرجه ابن ماجة (1350)، والنسائي (1010)، وأحمد (21388)، والحاكم (879).
صحَّحه الحاكم في ((المستدرك)) (879)، وحسَّنه ابن القطان في ((بيان الوهم والإيهام)) (701/5)، والألبانيُّ في ((صحيح ابن ماجة)) (1118)، وحسَّن إسناده النوويُّ في ((الخلاصة)) (1/ 595)، وصحَّح إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (375/1).

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ قراءتان:

1- قراءة هَذَا يَوْمَ بنَصْب يَوْمَ وجَعْلِه ظرفًا للفِعل يَنْفَعُ، وجَعْل هَذَا إشارةً إلى ما تقدَّم من الكلام، فقيل: المعنى أنَّ هذا الغُفرانَ والعذابَ يقع في يومِ ينفعُ الصَّادقين صِدقُهم،[139] وقيل: المعنى أنَّ الله تعالى أجابَ عيسى حين قال: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ إلى قولِه: فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فقال له عزَّ وجلَّ: هذا القولُ النافعُ، أو هذا الصِّدقُ النافعُ يومَ يَنفعُ الصَّادقين في الدُّنيا صِدقُهم ذلك في الآخِرة عندَ الله؛ فاليومَ وقتُ القولِ والصِّدقِ النَّافع.

2- قِراءة هَذَا يَوْمُ برَفْع يَوْمُ وجَعْل هذا مبتدأً، ويَوْمُ يَنْفَعُ خبرًا، والمعنى: أنَّ هذا يومُ منفعةِ الصَّادقين.[140]

---

(139) قرأ بها نافع.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 228).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 136).
(140) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: 228).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 136)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 242).

لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

أي: للصَّادقين جنَّاتٌ تَجري من تحتِ أشجارِها وقُصورِها الأنهارُ، ماكثِينَ فيها على الدَّوام.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

أي: رضِيَ اللهُ عن هؤلاءِ الصَّادقينَ باعتناقِهم الإيمانَ، وبما قاموا به من طاعةِ الرحمنِ، ورَضُوا هم عن اللهِ تعالى في تَوفيقِه لهم إلى الصَّالحات، وفي وفائِه بوَعْدِه لهم بدُخولِ الجنَّات.

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ –، قال: ((ثمَّ يَتجلَّى لهم ربُّهم تعالى، ثم يقولُ: سَلُوني أُعطِكم، فيَسألونه الرِّضا، فيقولُ: رِضائي أَحَلَّكم دارِي، وأَنَالَكُم كرامتي، فسلُوني أُعطِكم، فيسألونَه الرِّضا، فيُشْهِدُهم أنَّه قدْ رَضِيَ عنهم)).(141)

(141) أخرجه الدارميُّ في ((الرد على الجهمية)) (144)، وعبد الله بن أحمد في ((السنة)) (250/1)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (2084) والدارقطني في ((رؤية الله)) (61).

قال الذهبي في ((العلو)) (30): مشهورٌ وافرُ الطرق.

وقال ابن القيّم في ((حادي الأرواح)) (268): (حديثٌ كبيرٌ عظيمُ الشأن، رواه أئمة السنة، وتلقَّوه بالقَبول، وجمَّل به الشافعيُّ مُسندَه).

وجوَّد إسنادَه البُوصِيريُّ في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (259/2)، وقال الهيتميُّ المكي في ((الزواجر)) (262/2): إسناده جيّد قوي.

وحسَّنه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (3761).

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

أي: هذا الثوابُ الذي مَنَحَهم الله تعالى إيَّاه- مِن دُخولِ الجَنَّاتِ التي تَجري مِن تحتِها الأنهارُ، خالدِين فيها أبدًا، مع رِضاه عنهم، ورِضاهم عن ربِّهم- هو الظَّفَرُ الكبيرُ الذي لا أَعْظم منه.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120).

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ.

أي: هو وحْدَه الخالقُ المالكُ للسَّموات والأرضِ وما فيهنَّ، والمدبِّرُ لذلك كلِّه، فالجميعُ مِلكُه، وتحتَ قَهرِه وسُلطانِه وحْدَه سبحانَه، دون عيسى أو غيرِه مِن خَلْقِه.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أي: وهو سبحانه لا يُعجِزُه شيءٌ أرادَه، وجميعُ الأشياءِ مُنقادةٌ لمشيئتِه.

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلدُ الرَّابعُ

ويليه المجلدُ الخامسُ، وأوَّله تفسيرُ سورةِ الأنعام

الفهرس

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

المُغني في التَّفسير

المُحرِّرُ الجامِعُ لِتَفاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا